المقتطف

الجزء السادس من السنة السابعة عشرة

١ مارس (اذار) سنة ١٨٩٣ الموافق ١٢ شعبان سنة ١٣١٠

الوراثة ومذهب وِسْمَن

كيفما ادار الانسان نظرهُ في هذا الكون الواسع رأى من العجائب والغرائب ما يقف عندهُ العقل مدهوشًا . واغرب ما في ذلك تولُّد الحي من الحي ومشابهة الولد والدَيهِ خَلْقًا وخُلقًا وهو ما يعبَّر عنهُ عند العلماء الطبيعيين بالوراثة الطبيعيَّة . فأن كل نوع من انواع النبات يتزاوج و يبزر بزرًا ينبت منهُ نبات مثل نوعهِ . وكل نوع من انواع الحيوان يتزاوج و يبيض بيوضًا تخرج منها حيوانات مثل نوعهِ . والانسان نفسهُ داخل في هذا الحكم لانهُ يولد من بيضة صغيرة و يشبه والدَيهِ واسلافهما خَلقًا وخُلقًا وذلك مشاهد معلوم لا يختلف فيهِ اثنان وعليهِ قول الشاعر

لا تخطبنْ الأَ كريمة معشرٍ فالعرقُ دسَّاس من الطرفَيْنِ

اي ان الولد يرث اخلاقهُ من ابيهِ وامهِ وابن الكرام كريم وابن اللئام لئيم

وقد بحث العلماء الطبيعيون عن كيفيَّة تكوُّن الجنين ووراثتهِ الاوصاف الجسديَّة والاخلاق الادبيَّة من والدَيهِ واشتهر عندهم مذهبان مذهب داروِن ومذهب وِسْمَن

اما مذهب داروِن فيفرض انهُ تشتق من كل حُوَيْصلة(١) من حويصلات الجسم جراثيم صغيرة تتكاثر من تلقاء نفسها و يدخل بعضها البيضة التي يتكوَّن منها الجنين فتنتقل اليهِ خواص الاعضاء التي اشتقت تلك الجراثيم منها . ولذلك يأْتي الولد مشابهًا لوالدَيهِ . ثم ان هذه الجراثيم تنمو في جسدهِ وتتكاثر و ينتقل بعضها الى اجنتهِ وهلمَّ جرًّا وقد يتأَخر بعضها عن

---

(١) الحويصلات الاجسام الاولية التي يتألف منها الجسم الحي وهي صغيرة لا ترى الأَ بالميكرسكوب وكل حويصلة منها موَّلفة من كيس غشائي فيهِ مادة سائلة وهي البرتو بلازم الآتي ذكرهُ

اظهار صفات العضو الذي اشتقت منهُ مدة اعقاب كثيرة ثم تظهر تلك الصفات في عقب بعيد وهذا علة ما يسمَّى عندهم بالرجعة او العود الى الاصل

ولم يرَ دارون ولا غيرهُ هذه الجراثيم وانما فرض وجودها فرضًا لتعليل الوراثة ولكن مذهبهُ هذا لم يلقَ القبول التام عند العلماء اما لتعقيدهِ او لان المعلومات التي تؤيدهُ قليلة جدًّا. ولا يصح في شرع العلماء فرض مذهب قبل اكتشاف كثير من الاسانيد التي تسندهُ والقرائن التي تعزّزهُ

ولكن الباحثين في هذا الموضوع لم يقفوا عند الحد الذي رآهُ دارون عند ما ارتأى الرأي المشار اليهِ بل واصلوا البحث والتنقيب واكتشفوا حقائق كثيرة في امر الولادة فجمع الاستاذ وِسمن هذه الحقائق وبوَّبها واستنتج منها رأيهُ المشهور في الوراثة الطبيعيَّة وهو الراي الذي قامت لهُ النوادي العلميَّة وقعدت واحتدمت عليهِ نار الجدال في السنتين الماضيتين

اما الحقائق التي بني رأي وِسمن عليها فخلاصتها ان البيضة التي يتولد منها الجنين تكون في اول امرها حُوَيصلة مفردة مملوءة بالبروتوبلازم (٢) وفي هذا البروتوبلازم نواة مؤلفة من غشاء ومادة برتوبلازميَّة يقال لها نكليوبلازم (٣) وخيط ملتف لا يعلم تركيب مادتهِ حتَّى الآن وهو يتلوَّن بسهولة تحت الميكروسكوب ولذا أُطلق عليهِ اسم الكروماتين (٤) . فاذا بلغت البيضة اشدها تغير ما فيها من البرتوبلازم بعض التغيُّر وظهر فيها نجمان لهما اشعة بارزة منها وحينئذٍ ينشق غشاء النواة ويمتزج البرتوبلازم بالنكليوبلازم وينبسط الكروماتين اي الخيط المشار اليهِ آنفًا وينقسم الى قطع حُبيبيَّة يختلف عددها باختلاف الانواع ولنفرض ان عددها اربع قطع. ثم تنشق كل قطعة منها طولاً الى شقتين تنجذب شقة منها الى احد النجمين والاخرى الى النجم الآخر وتنقسم نواة البيضة الى قسمين ينبثق احدهما من البيضة ويبقى القسم الثاني فيها ويخرج نصف القطع مع الجزء المنبثق وينقسم الجزء الباقي في البيضة قسمين ايضًا يخرج قسم منها ويبقى فيها قسم وفيهِ قطعتان من قطع الخيط المذكور آنفًا وحينئذٍ تصير البيضة معدة للتلقيح

هذا وصف ما يجري في البيضة وهي في الانثى. وقد ابان العالم هرتوغ ان هذا الانقسام

---

(٢) البرتوبلازم Protoplasm اي المكوّن الاول هو المادة التي في الحويصلات ومنهُ تكون الاجسام الحيَّة

(٣) النكليوبلازم Nucleoplasm المادة التي في النواة

(٤) الكروماتين Chromatin الملوّن

يجري ايضًا في اللقاح فان حُوَيْصلة اللقاح تنقسم اربعة اقسام والخيط الذي فيها ينقسم وينشق كما ينقسم الخيط الذي في البيضة . ويدخل نصف ما كان في حويصلة اللقاح الى البيضة ويمتزج بما فيها وهو نصف ما كان فيها اولاً وبذلك تتلقح البيضة ويتولد الجنين من امتزاج مادتين احداها من الذكر والاخرى من الانثى . وهاتان المادتان متشابهتان والفرق بينهما قليل جدًّا . وقد اثبت هذه الحقائق كثيرون من مشاهير العلماء بعد ان شاهدوها بالميكرسكوب مرارًا عديدة

ولما اراد الاستاذ وِسمن ان يعلّل الوراثة الطبيعيَّة تعليلاً ينطبق على هذه الحقائق ذهب الى انهُ يوجد فرق اصليٌّ بين الحويصلات التي تنقل اوصاف الوالدين الى اولادهما اي تورث الاولاد اوصاف والديهم وتسمى بالحويصلات الجرثوميَّة وبين الحويصلات التي تنشأ منها اجسامهم وتسمى بالحويصلات الجسميَّة فان البيضة الملقحة تنقسم اولاً الى قسمين متمازين قسم فيهِ الحويصلات الجرثوميَّة وقسم فيهِ الحويصلات الجسميَّة اما قسم الحويصلات الجرثوميَّة فينقسم الى حويصلات لا تحصى لكثرتها وتحفظ في جسم الجنين والشخص الذي يكون منهُ ذكرًا كان او انثى وتنتقل منهُ الى اجسام اولادهِ . والحويصلات الجسميَّة تنمو وتتكوَّن منها الاعصاب والعضلات وسائر الاعضاء . فالحويصلات الجرثوميَّة خالدة لا تورث بل تنتقل من الوالدين الى الاولاد ومنهم الى اولادهم وهلمَّ جرًّا على توالي الاعقاب باتصال غير منفصل وتنتقل بها الصفات المميزة للجنس والنوع والفصل والاخلاق والاوصاف المتنوعة . واما الحويصلات الجسميَّة فالغرض منها بناء هذا الهيكل الجسماني المتغير . والمادة الجوهريَّة في الحويصلات الجرثوميَّة هي خيوط الكروماتين المشار اليها آنفًا فهي التي تورث الولد اخلاق والديهِ واوصافهما

وقد ذهب وسمن الى ان الحويصلات الجرثوميَّة تعيش وحدها ولا تؤثر بها الحويصلات الجسميَّة الاَّ قليلاً ولا تدخل الحويصلات الجسميَّة ولم ترَ جارية مع الدم ولذلك اذا عرضت للانسان آفة لم تنتقل الى اولادهِ . ولا ينتقل الى الاولاد الاَّ العوارض الَّتي تعرض للوالدين وتؤثر في بنيتهم او الميكروبات التي تتصل الى هذه الحويصلات الجرثوميَّة واما اذا نما عضو من الاعضاء وضخم بالاستعمال او ضعف وضمر بالاهمال لم تنتقل هذه الصفة الحادثة الى الاولاد . ولم ينفِ وسمن انتقال شيءٍ من الصفات المكتسبة بالعوارض الخارجيَّة الى الاولاد بل قال ان انتقالها قليل جدًّا ولا يتم الاَّ بعد ان تتكرَّر في اعقاب كثيرة بان يعرض ذلك العارض لتلك الاعقاب على التوالي فيؤثر في الحويصلات الجرثوميَّة فتنتقل الصفة المكتسبة الى

الاولاد . وهذا نص كلامهِ في هذا الشأن

" لما ارتأيتُ هذا الرأي حسِبتُ ان مصادر الاختلاف في الموجودات الكثيرة الحويصلات اي المؤثرات الخارجية وفي جملتها الاستعمال والاهمال التي تغير الجسم لا تؤثر في الافعال الطبيعيَّة التي تغير الانواع لان تأثيرها جسمي فقط فلا ينتقل بالوراثة وانما ينتقل بالوراثة الاستعداد الذي في الحويصلات الجرثوميَّة ولكن هذه الحويصلات لا تفعل بها الفواعل الخارجيَّة او تفعل بها نادرًا اذا توالت عليها . فلم انفِ انفعالها بالفواعل الخارجيَّة نفيا باتًّا ولكنني رأيت ان الوراثة تثبت ان هذا الانفعال قليل جدًّا وهو يتدرَّج في درجات طفيفة حتَّى لا نكاد نشعر بها ومن المحتمل ان هذه الاسباب كانت علة التغيُّر القياسي الذي اصاب كل الافراد من كل الانواع حينما كانت معرَّضة لمؤثرات واحدة مدة اعقاب كثيرة ولكنها لم تكن سببًا للاختلافات الشخصيَّة التي تتغير دائمًا "

اما الاختلافات الشخصيَّة فسببها اختلاف الجراثيم الآتية من الوالدين واسلافهما كمًّا وكيفًا فانهُ يتعذر ان تجتمع هذه الجراثيم مرتين على اسلوب واحد تمامًا وتتفق في المرتين اتفاقًا تامًّا ولذلك يندر ان يولد اثنان متماثلان تمامًا

وقد ذهب العالم ده فريس الى ان النواة التي في البيضة مؤلفة من اجزاء صغيرة جدًّا لا تحصى لكثرتها ولا تماثل الجراثيم التي ذكرها دارون حاسبًا انها تكوّن الحويصلات بل عملها ارشاد الحويصلات التي يتألف منها الجسم الى اتباع صورة النوع الشامل لذلك الجسم . وقال انهُ لم يكثر عدد اجزاء الكروماتين المشار اليهِ آنفًا الا لكي تكثر اختلافات الافراد فانهُ اذا كانت الاجزاء ثمانية امكن ان يتركب منها سبعون تركيبًا مختلفًا واذا انشق كل جزء منها الى اثنين صار عدد التراكيب ٢٦٦ تركيبًا وهلمَّ جرًّا . وقد وافقهُ الاستاذ وِسمن على ذلك وقال ان ازدواج هذه الاجزاء قبل انقسامها يجعل عدد الحويصلات الجرثوميَّة كثيرًا جدًّا وبذلك يختلف كل شخص عن غيرهِ ويُفتح باب واسع للانتخاب الطبيعي

فخلاصة مذهب دارون في الوراثة الطبيعيَّة انهُ يخرج من كل عضوٍ من اعضاء الوالدَين جراثيم صغيرة تجتمع في البيضة الملقحة وتكوّن جسم الجنين . وخلاصة مذهب وِسمن ان في الجسم اجزاء جسمية واجزاء جرثوميَّة فالاجزاء الجسمية تتكوَّن منها اعضاء الجسم المختلفة . والاجزاء الجرثوميَّة لا يتكوَّن منها شيء ولكنها تنقل الصفات الجنسية والنوعية من الوالدَين الى اولادها . ولم يسلمَ هذا المذهب من الاعتراض بل لقي من مقاومة العلماء ما لم يكن في

الحسبان ولاسيما من المشرحين الذين اعتمد وسمن عليهم في بحثهِ واثبات مذهبهِ . وسنفصّل ذلك في فرصة اخرى

الكسوف الآتي

ستكسف الشمس كسوفًا تامًّا في الخامس عشر من شهر ابريل المقبل ويبقى وجهها محجوبًا عن الانظار حجبًا تامًّا اربع دقائق و٤٦ ثانية ولا يظهر ذلك عندنا بل في البلاد الواقعة بين شيلي في غربي اميركا الجنوبيَّة والرأس الاخضر في غربي افريقية اي انهُ يظهر في غربي اميركا الجنوبيَّة حيث العرض ٢٩ درجة ويغادر شرقيها في الزاوية الشماليَّة الشرقيَّة من برازيل حيث العرض ٣° و٤٠َ جنوبًا ويصل الى غربي افريقية حيث العرض ١٤° شمالاً . ولذلك اعتمد كثيرون من الفلكيين ان يذهبوا لرصدهِ في شيلي وبرازيل وافريقية . واكثر الناس اهتمامًا بذلك على ما يظهر الآن هم الانكليز والاميركيون والفرنسويون . اما الانكليز فسيرسلون وفدين من الرصد الواحد الى افريقية والثاني الى برازيل . فالوفد الذي يذهب الى افريقية يقلع من مدينة ليفربول في الثامن عشر من هذا الشهر ويصل الى مرفإٍ بثرست في غربي افريقية في الثاني من ابريل وتقابلهُ هناك سفينة حربيَّة عينتها الحكومة لخدمتهِ فتقلع الى مكان اسمهُ فنديوم يبعد عن بثرست ستين ميلاً وهو من املاك الحكومة الفرنسويَّة وستبقى هذه السفينة الحربيَّة مع الرصد كل مدة اقامتهم هناك ثم ترجع بهم الى حيث يجدون سفينة تجاريَّة يعودون بها الى بلادهم

والوفد الذي يذهب الى برازيل يقلع في الثاني عشر من هذا الشهر ويمضي الى باراكورا في الشمال الشرقي من برازيل وهناك سفينة حربيَّة اقامتها حكومة برازيل لخدمة الراصدين

اما الاميركيون سكان الولايات المتحدة فاكثر اهتمامًا من اعمامهم الانكليز فان مدرسة هرفرد الكليَّة ارسلت وفدًا الى شيلي ومرصد لِك ارسل وفدًا آخر الى شيلي . وسيذهب وفدان او ثلاثة الى برازيل من مدرسة وشنطون الجامعة وغيرها . وسترسل حكومة فرنسا وفدًا كبيرًا الى غربي افريقية لهذه الغاية . وسيعتني الفلكيون في شيلي وبرازيل برصد هذا الكسوف كلٌّ في بلادهِ والغرض من ذلك كلهِ تحقيق بعض القضايا في علم الهيئة . وسيكون لهذا الكسوف شأن عظيم لانهُ آخر كسوف كلي في القرن التاسع عشر ولانَّ الاماكن التي يظهر فيها صافية الجو نقيَّة الهواء قليلة السحب

اصل المرافع ووصفها

جرى في القاهرة والاسكندرية في اواسط الشهر الماضي احتفالان عظيمان شاهدهما اكثر السكان على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وهما احتفالا المرافع . وقد طلب الينا البعض ان نثبت في المقتطف ما يعلم من تاريخ المرافع وسبب الاحتفال بها على هذه الصورة واجابةً لذلك نقول

يراد بالمرفع عند نصارى المشرق اليوم الذي قبل ايام الصوم وهم يأكلون فيهِ افخر المآكل ويشربون اطيب المشارب كلٌّ على حسب طاقتهِ ولم نعهد انهم كانوا يحتفلون بهِ كما يفعل الاوربيون . ولعلهم سمَّوا ذلك اليوم مرفعًا لانهم يرفعون بهِ اكل اللحم . اما الاوربيون ولاسيما اهالي ايطاليا فيحتفلون بالمرفع احتفالاً بهيجًا ثمانية ايام قبل الصوم الكبير الذي يسبق عيد الفصح والظاهر ان هذه العادة مقتبسة من الرومانيين القدماء الذين كانوا يعيدون مرتين في السنة لاله الخمر مرةً في الصيف ومرةً في الشتاء وكان احد احتفالاتهم يقع في الوقت الذي يقع فيهِ المرفع الآن وكان منهُ ربح عظيم للمدن الكبيرة ولاسيما لرومية ام مدائن ايطاليا فيتقاطر الناس اليها من كل الاقطار ويكثر فيها البيع والشراء فلم يرَ المسيحيون ان يبطلوا ذلك الاحتفال تمامًا بل حوَّلوهُ عن غرضهِ الاصلي وابطلوا صبغتهُ الوثنيَّة وجعلوهُ من جملة الاحتفالات الدينيَّة مع ان بعض الاعمال التي تعمل فيهِ لا يستحسنها كثيرون من ائمة الديانة

وتعزَّز شأن المرافع في رومية في اواسط القرن الخامس عشر وفُرض على اليهود الذين فيها ان يدفعوا كل سنة الفًا ومئةً وثلاثين فلورينًا من الذهب للمحتفلين بالمرافع . وبلغت هذه الاحتفالات منتهى عظمتها سنة ١٥٤٥ بالسباق والسخر . والسباق قديم العهد جدًّا وكان يجري كل يوم من ايام المرافع ولكن السخر ابهج منهُ وبها تقوم بهجة المرافع ولاسيما اذا اجاد اصحابها في تمثيل كل الاعمال على اسلوب مضحك

والآن لا تسير الاحتفالات على اسلوب واحد في كل ايام المرافع ففي احد الايام تسير المركبات الفاخرة وهي بابهج زينة تروق النواظر وتسر الخواطر فترشق بالازهار من البيوت والاروقة والشرفات ولا يُسمح ان ترشق بسواها . وفي غيرهِ تسير السخر فترشق بحبوب من الجبس تشبه حبوب اللوبياء شكلاً ولونًا تصنع لهذه الغاية وهي بدل الملبَّس الذي كان يرشق بهِ المحتفلون في الازمنة الغابرة قبلما كثر ورد اهالي الشمال الى رومية على ما يقولهُ اهلها

واحتفالات المرافع تكون على ابهجها في مدينة رومية ويتلوها في ذلك مدينة فينيسيا (البندقية) ولكن يظهر لنا مما قرأناهُ في وصفها انها لا تفوق الحفلتين اللتين جرتا عندنا في

الشهر الماضي وهاك وصفها ملخصاً مما نشرناهُ عنها في المقطم

حفلة الاسكندرية

سارت حفلة المرفع في الاسكندرية يوم الاحد في الثاني عشر من الشهر على الاسلوب الآتي

اولاً هجانة من العرب يضربون الطبول . ثانياً موسيقى يونانية قديمة . ثالثاً فرقة من الجند اليوناني بايديهم الحراب . رابعاً فرقة من الحرس اليوناني الفرسان ممتطين الجياد المطهمة الشهباء وعليها السروج الحمراء وبايديهم الحراب . خامساً مركبة الاسكندر الكبير يجرها جودان ويسوقها الاسكندر . سادساً بعض المركبات وفيها اناس قد تزيوا بازياء مختلفة . سابعاً برج بابل . ثامناً الطائر الخرافي المدعو طائر الرخ وهو باسط جناحيهِ على بيضهِ وقد نقف بعضهُ وخرجت منهُ فراخ الرخوخ . تاسعاً مركبات عديدة بازياء مختلفة . عاشراً مركبة كليوبترا ملكة مصر امامها الخدم والحشم وهي مضطجعة على اريكة من الحرير الازرق والى جانبيها جاريتان بايديهما المراوح من ريش النعام وهي تحيي الجمع . حادي عشر شجرة قد علاها الكورلا وهو نوع من القرود وهو يبدي من الحركات المضحكة ما اضحك الجمهور ثم المركبات العديدة لكثيرين من لابسي المساخر

اما شارع شريف باشا والمنشية وشارع توفيق فقد اكتست ارضها ثوباً بديع الالوان بين احمر وابيض واصفر وبنفسجي من قصاصة الورق التي كانت تلقى من الشرفات والنوافذ ومن الملبس الذي كان الناظرون يرشقون بهِ لابسي المساخر . وقد سار الموكب من امام معمل عبدان الفسفور الى شارع النزهة فشارع شريف باشا فالمنشية وبعد ان طاف بالمنشية سار في شارع توفيق ثم مال الى شارع شريف باشا وطاف طوفتهُ الاولى في المنشية وعاد الى شارع توفيق فشارع النزهة وارتد الى حيث خرج اولاً

وفي مساء ذلك اليوم اقيم في حديقة المنشية الالعاب النارية الباهرة وارسلت الاسهم النارية تشق كبد السماء وكانت الانوار الكهربائية تتلألأ في جوانب المنشية فتخال الليل نهاراً وقد ارسلت اشعتها على المياه المنبعثة من انابيب الماء على بعد شاسع فتتلألأ كالحجارة الكريمة بين لؤلوء وزبرجد وياقوت وصفير والماس مما يقف الطرف عندهُ حاسراً

حفلة القاهرة

جرت حفلة المرافع في القاهرة يوم الثلاثاء في الرابع عشر من الشهر وكان المرء كيفما جال في المدينة رأى الناس يخطرون في الاسواق والشوارع بالثياب المنمقة والوجوه المزوقة او الاطمار البالية واللحى العارية الى غير ذلك من السخر والاضاحيك التي تروق النواظر وتشوق الخواطر وما اتى ظهر اليوم حتى رأينا المدينة باسرها قد انتقلت الى شارع عابدين

وشارع وجه البركة والناس قد ازدحموا في الشرفات والنوافذ والدكات التي نصبت على قارعة الطريق ينتظرون مرور الموكب الكبير الذي هيأته لجنة المرافع وكان الازدحام على معظمهِ في ساحة الاوبرة الخديوية حيث ضربت السرادقات الكبيرة والقباب المزخرفة وفي صدرها سرادق رفيع العماد جلس فيهِ الجناب الخديوي المعظم ومن حولهِ حضرات نظارهِ الكرام ورجالهِ الفخام وعلى مقربةٍ منهُ دكة عالية للموسيقى الانكليزية ووراءهُ الموسيقى المصرية في شرفة الاوبرة الخديوية حتَّى اذا كانت الساعة الواحدة ونصف بعد الظهر سار الموكب من ساحة عابدين وفي طليعتهِ الموسيقى العسكرية ووراءها مركبة صغيرة يجرها جواد كميت وقد زينت بالورد والرياحين ووراءها مركبة كبيرة تمثل دخول الاسكندر المكدوني المرافق المصرية ثم مركبة فيها اناس يزيفون النقود ثم ركبٌ من الوطنيين على الجمال يضربون الطبول ثم هوادج تجرها النياق ووراءها مركبة كبيرة تجرها خيول مسرجة بالسروج البيضاء وتليها مركبة يمثل ركابها اهل اليابان بازيائهم الغريبة ثم مركبة للمشتغلين بفن الهندسة ووراءها مركبة فيها نصب كبير يمثل اله النيل وهو ضخم الجثة ناصع البياض وقد اشتعل رأسهُ شيبًا واسترسل شعرهُ الطويل على كتفيهِ والى يمينهِ ويسارهِ نخلتان باسقتان وبين قدميهِ تمساح واسع الشدق هائل الخلق . وتلي ذلك مركبة بديعة ضفرت فيها اكاليل الازهار والرياحين ثم مركبة تمثل فصل الربيع بحسنهِ وبهجتهِ ووراءها مركبة تمثل سكة الحديد من اسيوط الى جرجا وعمالها فيها . ثم مركبة كبيرة قد طلع فيها نبات القطن واخصب زرعهُ وجمع جانبٌ منهُ في اكياس جلس الناس حولها يضربون آلات الطرب فرحين مستبشرين بخصب زراعتهم . وخلفها مركبة يسوقها رجل قصير القامة كانهُ من قزامى افريقية ووراءها مصباح كبير من مصابيح الغاز ويتلوها عمال الغاز يحملون بايديهم العصي التي ينيرون بها المصابيح. ثم مركبةٌ يجرها بغلٌ ويسوقها رجلٌ قد لبس ثوبًا كتبت عليهِ اسماء الجرائد الوطنية وفي وسطها رجل قد لبس البرفير الاحمر . وبعدها مركبةٌ قد نصب فيها ميزانٌ في أعلى قائمتهِ رأس ثور يزن حظوظ الناس وقد وضع المال في احدى كفتي الميزان والعلم في الكفة الاخرى فرجحت كفة المال على كفة العلم وكتب على المركبة عبارةٌ معربها ان اوقيةً من المال تساوي اكثر من مئة مجلد . وفي ختام الكل مركبة كبيرة تمثل هرم الجيزة بكبرهِ وضخامتهِ . وتلي هذا الموكب مركبات عديدة فيها اناسٌ مختلفو الهيئات والازياء . ولم يبقَ احدٌ من الناس الَّا امتلأت جيوبهُ وارداتهُ بالنثار الذي كان يتساقط كالامطار وهو من الحمص والملبس والفول وحبوب اللوبياء وكانما قامت حربٌ بين الجماهير ناب فيها النثار عن رصاص البنادق

مناقب المتنبي ومعايبهُ

لحضرة صاحب السماحة السيد البكري نقيب السادة الاشراف وشيخ المشايخ(١)

كان ابو الطيب رجلاً ملء العين قويًّا بدينًا خليقًا شخيصًا عاديَّ الالواح مضبور الخلق قويَّ الاساطين وثيق الاركان جيد النصوص فيهِ جفاء وخشونة وقد كانت القوة الغضبيَّة آخذة كل مأْخذ من نفس هذا الرجل ولهذه القوة فضائل تنشقُّ عنها وتنشأُ منها ولها كذلك رذائل

فمن فضائلها الشجاعة وعظم الهمة والانفة والحمية والتثبت والنجدة والشهامة ومن رذائلها الكبر والعجب والقحة والحقد وكان جميع ذلك موجودًا في نفس ابي الطيب يعلمهُ من قرأَ كلامهُ وتتبع سيرتهُ واحوالهُ ونحن نفصِل ذلك ونأْتي بكل صفة من صفاتهِ هذهِ ثم نشرحها ونستشهد عليها بكلامهِ واقوالهِ فنقول

﴿الشجاعة﴾ اي التهاون بالآلام والاقدام على ما ينبغي كما ينبغي * كان ابو الطيب رجلاً شجاعًا مقدامًا لا يهاب الموت كانهُ لا يعرفهُ . وكأَن سيف الدولة فطن لذلك وعرف الشجاعة في سيماهُ عند التحاقهِ بهِ فأَسلمهُ للروَّاض فعلموهُ الفروسيَّة والطراد والمثاقفة وكان يصحبهُ معهُ في غزواتهِ . قيل انهُ كان معهُ في غزوة العشاء في بلاد الروم وهي تلك الغزوة التي أَبلى فيها سيف الدولة البلاء الحسن ووقف في فناء الموت حتَّى فنيت جيوشهُ ولم يبقَ معهُ الَّا ستة انفس كان المتنبي احدهم وحسبهُ ذلك

وربما خرج المتنبي من الشجاعة والحماسة الى التهوُّر والخرق والقاء النفس في التهلكة كما وقع لهُ في مفتتح امرهِ مع ابي عبد الله معاذ بن اسمعيل حيث نهاهُ عن التهوُّر في امر الدعوة والتعرض لما تجرع من البلايا فقال لهُ المتنبي

أَبا عبد الالهِ معاذُ إني   خفيٌّ عنك في الهيجا مقامي
ذكرتُ جسيمَ مطَّلبي واني   أُخاطرُ فيهِ بالمهج الجِسامِ
أَمثلي تأْخذُ النكَباتُ منهُ   ويجزعُ من ملاقاةِ الحِمامِ
ولو برزَ الزمانُ اليَّ شخصًا   لخضَّبَ شعرَ مَفرِقِهِ حسامي

فوقع لهُ من جرَّاء ذلك ما وقع من النكبة والسجن والقيد حتَّى كاد يتلف كما قال

دعوتكَ عند انقطاع الرجا   ء والموت مني كحبْلِ الوريدِ

---

(١) من مقالة لهُ تلاها في مجتمع اللغة العربية وستنشر في كتابهِ فحول البلاغة

ومثل ذلك ما وقع لهُ في أخريَّاتِ امرهِ مع ابي نصر محمَّد الجبلي لمَّا اعلمهُ بحقد بني اسد عليهِ وترصُّدهم لهُ وأشار عليهِ بالاحتياط واستصحاب الخفراء فأبى عليهِ ذلك وقال لا ارضى أن يتحدَّثَ الناس باني سرتُ في خفارة احد غير سيفي ثم قال يا ابا نصر كواسر الطير تخشاني ومن عبيد العصا تخاف عليَّ والله لو أن مخصرتي هذهِ ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف ان يردهُ معاذ الله ان اشغل قلبي بهم لحظة عين . ثم ركب وسار فوقع في الهلاك وقتل هو وغلمانهُ جميعهم فكأنهُ في هذهِ الحالة لم ينظر الى قولهِ

الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ   هو اول وهيَ المحلُّ الثاني

وبالجملة فقد قضى ابو الطيب معظم حياتهِ في طلب الحرب والضرب والغارة والغلب واظهار الشجاعة والبأس والإكثار من ذكر ذلك في تضاعيف كلامهِ بحيث لا تكاد تخلو قصيدة من شعرهِ او ارجوزة من قولهِ عن ذلك

ولهُ في وصف الحروب والوقائع ونعتها طريق عجيب واسلوب غريب لا يكاد يبلغهُ غيرهُ من المتأخرين قال ابن الاثير في المثل "اما ابو الطيب فحظي في شعرهِ بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواقع القتال وأنا اقول فيهِ قولاً لست فيهِ متأثمًا ولا منهُ متلثمًا وذلك انهُ اذا خاض في وصف معركة كان لسانهُ امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقوالهُ للمسامع مقام افعالها حتَّى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقهُ في ذلك يضل بسالكهِ ويقوم بعذر تاركهِ"

فمن طرق ابي الطيب في نعت الحروب ان يهوّن خطبها على النفوس تارةً ويذكر فضائلها ومناقبها ويأخذ في الموت وامرهِ فيلطفهُ ويرققهُ وما زال بخشنهِ حتَّى يلين وبصعبهِ حتَّى يهون فيمثل الموت وهو ايسر مركب يُركَب وذلك كقولهِ

وَلَوَ انَّ الحياةَ تبقى لحيٍّ   لعددنا اضلَّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد   فمن العجز أن تموتَ جبانا

وقولهِ
وغاية المفرط في سلمهِ   كغاية المفرط في حربهِ

وقولهِ
اذا راغمت في شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في امر حقيرٍ   كطعم الموت في امر عظيمِ

وقولهِ
أرى كلَّنا يبغي الحياةَ لنفسهِ   حريصًا عليها مستهامًا بها صبَّا
فحبُّ الجبانِ النفسَ اوردهُ التقى   وحبُّ الشجاع النفسَ اوردهُ الحربا

ومن طرقهِ ايضًا ان يذكر امر تدبيرها وتصريف الرأي فيها واحكام سياستها ونحوها

ومن طرقهِ ان يأخذ في وصف الجيش وعَدَدهِ وعُدَدهِ ورجالهِ وخيلهِ وما يتبعهُ من طير ووحش ويصوّر كيفيَّة القتال والزحف والمبارزة والانتصار والانكسار وما يحوم حول هذا الحمى ويأتي في ذلك بالمعاني الغريبة والبدائع النادرة ويتفنن فيها ما شاء ولهُ كذلك طريقة اخرى غريبة في بابها ساقهُ اليها عشقهُ للحروب وشغفهُ بها وذلك انهُ يعبّر عنها بالفاظ الغزَل والنسيب وعبارات التشبيب ومن هذا الباب قولهُ

والطعنُ شزْرٌ والارض واجفةٌ كأنَّما في فؤادِها وَهَلُ
قد صَبَغَتْ خدَّها الدماء كما يصبغُ خدَّ الخريدةِ الخجَلُ
والخيل تبكي جلودها عرقًا بأدمعٍ ما تسحُّها مقَلُ
وقولهِ أعلى الممالك ما يبنى على الاسلِ والطعن عند محبيهن كالقبل
وقولهِ شجاع كأنَّ الحرب عاشقة لهُ اذ زارها فدَّتْهُ بالخيلِ والرجلْ
وقولهِ وكم رجال بلا ارض لكثرتهم تركت جمعهمُ ارضًا بلا رجلِ
ما زال طرفك يجرى في دمائهمِ حتَّى مشى بك مشْيَ الشاربِ الثملِ
وقولهِ فأتتك داميةُ الأظل كأنما حذيت قوائمها العقيقَ الاحمرا
وقولهِ قد سوّدت شجر الجبال شعورهم فكأنَّ فيهِ مسفة الغربان
وجرى على الورق النجيع القاني فكأنَّهُ النارنج في الاغصان
وقولهِ حمى أطرافَ فارسَ شمَّريٌّ يحضُّ على التباقي بالتفاني
فلو طُرِحت قلوب العشق فيها لما خافتْ من الحَدَقِ الحسانِ

فهذا ما اردنا بيانهُ من ذكر شجاعة ابي الطيب واقدامهِ وقولهِ في الحروب والوقائع وما يتعلق بذلك

﴿ **عظم الهمة** ﴾ اي استصغار ما دون النهاية من معالي الامور * كان ابو الطيب ذا همة لا منتهى لها واظنهُ اكبر الشعراء المتاخرين علوَّ همةٍ وكبر نفسٍ

بلغ هذا الرجل بشعرهِ من الدرجات الرفيعة ما لم تبلغهُ الشعراء وتحظَ بهِ الادباء فقد تنافست فيهِ الرؤساء وتحاسدت عليهِ الامراء ونال من الجوائز والعطايا والاقبال مبلغًا وافرًا وحظًّا جزيلاً حتَّى كان يمدح الامير او الرئيس فينزل لهُ من السرير ويجلسهُ عليهِ ويقعد بين يديهِ ويشاطرهُ مالهُ ويبلغهُ اقصي آمالهِ ومع هذا كلهِ فكانت همة الرجل ترمي بهِ فوق ذلك بمرامٍ فيرى في نفسهِ الغبن وان الزمان يعاكسهُ والدهر يحاربهُ ويبكي من حالهِ ويقول

ماذا رأَيتُ من الدنيا واعجبهُ   أني بما أنا باكٍ منهُ محسودُ

ويقول ايضًا

الى كم ذا التخلُّف والتواني   وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي   ببيع الشعر في سوق الكسادِ
وما ماضي الشباب بمستردٍّ   ولا يوم يمرُّ بمستعادِ

وهذا كلهُ تعالٍ بالهمم على الامم وخروج من خطة الشعراء الى مراتب الملوك والامراء فان الرجل كان يتطلب الملك ويرى نفسهُ اهلاً لهُ ويخالهُ من حقوقهِ المغصوبة منهُ ويأمر نفسهُ بالصبر والسكينة حَتَّى تحين الفرص فيتناولهُ من ايدي الملوك والرؤساء ويستعين على ذلك بالخيل والرجْل ويذكر ذلك في اشعارهِ ومقالاتهِ كقولهِ

ساطلب حقي بالقنا ومشايخٍ   كأنهمُ من طول ما التثموا مردُ
ثقالٍ اذا لاقوا خفافٍ اذا دُعوا   كثير اذا شدُّوا قليلٍ اذا عدُّوا
وطعنٍ كأَنَّ الطعن لاطعن عندهُ   وضربٍ كأَنَّ النار من حرّهِ بردُ
اذا شئت حفَّت بي على كل سابحٍ   رجالٌ كأَنَّ الموت في فمها شهدُ

وكقولهِ

وان عمرْتُ جعلتُ الحرب والدةً   والسمهريَّ اخًا والمشرفي أبا
بكل اشعثَ يلقى الموتَ مبتسمًا   حَتَّى كأَنَّ لهُ في موتهِ أربا
قحٍّ يكادُ صهيلُ الخيلِ يقذفهُ   من سرجهِ مرحًا بالعزّ اوطربًا
فالموت أعذر لي والصبر اجمل بي   والبرُّ اوسعُ والدنيا لمن غلبا

وقولهِ ايضًا

لقد تصبرت حَتَّى لات مصطبرٍ   فالآن أقحم حَتَّى لات مقتحمِ
لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً   والحرب اقوم من ساقٍ على قدمِ
بكل منصلتٍ ما زال منتظري   حَتَّى ادلتُ لهُ من دولة الخدمِ
شيخٍ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً   ويستحلُّ دمَ الحجاج في الحرمِ

وكقولهِ

ذريني انل ما لا ينال من العلا   فصعب العلا في الصعب والسهل في السهلِ

وما زال حب الملك يدور في رأسهِ ويلعب في صدرهِ حَتَّى بعثهُ على الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان فلم ينجح في ذلك لفقدان العصبيَّة او ما يماثلها من الموالي والمصطنعين واصابهُ من جرّاء ذلك ما كاد يتلفهُ. فلما رأى ان الامر لا يؤتى من هذا الطريق مال الى الحيلة والرأْي فرأى ان يقصد اميرًا من اغبياء الامراء او ضعفاء الملوك فيتوسل اليهِ بالشعر

حتَّى يقرّبهُ ويدنيهُ فاذا تمكن الانس واستحكمت المودة بينهما رغب اليهِ ان يوليهُ ولاية بعض الاطراف او ينيط بهِ ضيعة بعيدة ثم يؤّلف هنالك الرجال ويصطنع الموالي ويجمع لفيفًا من الغوغاء والدهماء فيخرج بهم للفتوحات ويدوّخ الارض ويملك الملك ويقتل العالمين كما قال

افكر في معاقرة المنايا   وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيمًا للقنا الخطي عزمي   بسفك دم الحواضر والبوادي

ثم تامل ابو الطيب فلم يجد في ملوك عصرهِ ورؤسائهِ اقل واضعف في عينهِ من كافور فقصدهُ ووقع لهُ منهُ ما وقع كما بيناهُ في غير هذَا الموضوع

ومن الغريب ان همة هذا الرجل لم تقفْ عند حدّ الملك بل تعالت بهِ فادّعى النبوة وخرج يدعو الناس اليها كما هو مشهور

الحمية اي الغضب عند الاحساس بالنقص * كان ابو الطيب من اشدّ الناس غضبًا عند الاحساس بالنقص وهو القائل

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي   أنا الثريّا وذان الشيب والهرمُ

وانظر اليهِ كيف فارق سيف الدولة لما رأى منهُ النقص في حقهِ والتقصير في معاملتهِ في مسئلة ابن خالويه ونحوها ولم تمسكهُ العطايا والمنح والدنيا وزينتها بل فارقهُ غير آسفٍ وخاطبهُ من مصر يقول لهُ من قصيد

اني أُصاحب حلمي وهو بي كرمٌ   ولا أُصاحب حلمي وهو بي جبُنُ
ولا اقيم على مال أُذلُّ بهِ   ولا أَلذ بما عرضي بهِ درنُ
وان بليت بودّ مثل ودكمُ   فانني بفراقٍ مثلهُ قمِنُ

الانفة اي بعد النفس عن الامور الدنيئة * كان من طبع أَبي الطيب النفور والبعد عن الامور الدنيئَة والمواطن الخسيسة ونحوها وهو القائل

ذلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ   رُبَّ عيشٍ أَخفُّ منهُ الحِمامُ
من يَهُنْ يسهل الهوان عليهِ   ما لجرحٍ بميِّت إِيلامُ

وقال ايضًا

واحتمال الاذى ورؤْية جانيهِ   غذاء تضوى بهِ الاجسامُ

وقال ايضًا

ولا يروق مضيمًا حسن بزتهِ   وهل يروق دفينًا جودة الكفنِ

﴿ **التثبت** ﴾ وهو الفضيلة الّتي يقوى بها الانسان على احتمال الآلام * كان ابو الطيب صبوراً على احتمال الآلام غير محتفل بالحوادث قد جرّب الزمان وحلب اشطر الدهر وعانى مصائبهُ وآلامهُ حتَّى صارت لهُ عادة مأْلوفة لا يفزع لها كما قال

أنكرتُ طارقة الحوادث مرةً   ثم اعترفتُ بها فصارت ديدنا

وقال ايضاً

ألا لا أُري الاحداث حمدًا ولا ذمًّا   فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

ثم قال

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا   فلما دهتني لم تزدني بهِ علما

وقال وهو في السجن بين القيد والنطع

كن ايها السجن كيف شئتَ فقد   وطنتُ للموتِ نفس معترفِ

﴿ **النجدة** ﴾ أي ثقة النفس عند المخاوف حتّى لا يجاورها فزع * قال ابو الطيب في نفسهِ

أُطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ   وحيدًا وما قولي كذا ومعي الصبرُ
وأشجع مني كل يوم سلامتي   وما ثبتت الاَّ وفي نفسها امرُ
تمرست بالآفات حتَّى تركتها   تقول أَماتَ الموت ام ذعِرَ الذعرُ
واقدمتُ اقدامَ الأتي كأَنَّ لي   سوى مهجتي او كان لي عندها وترُ
دعِ النفسَ تأْخذ وسعها قبل بينها   فمفترقٌ جارانِ داراهما العمرُ

﴿ **الشهامة** ﴾ وهي الحرص على الاعمال العظام توقعاً للاحدوثة * قضى ابو الطيب معظم عمرهِ في هذا السبيل وشعرهُ مفعم بهذا المعنى ومن قولهِ فيهِ من قصيدة

وتركك في الدنيا دويًّا كأَنما   تداول سمع المرء أنملهُ العشرُ

وقال ايضاً

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدًا   فقم واطلب الشيء الذي يبترُ العمرا
هما خلتان ثروة او منيَّة   لعلك ان تبقى بواحدة ذكرا

﴿ **القحة** ﴾ وهي المجاهاة بالكلام الغليظ واستصغار الغير في عينهِ * لم يخلُ ابو الطيب من هذه الوصمة بل كانت تظهر عليهِ في بعض الاحايين وتثبت في اشعارهِ وقد اصابهُ من جرّائها عناء شديد في كثير من الاحوال حتّى كانت هي السبب في قتلهِ وذلك انهُ هجا ضبة الاسدي بشعر مملوء بالسفهِ والوقاحة منهُ قولهُ

ما أنصف القوم ضبه   وامهُ الطرطبه
وما يشقُّ على الكلـ   ـبِ ان يكون ابن كلبه

الى غير ذلك من الكلام الذي ينزه هذا المقام عن ايرادهِ فهاج ذلك بني أسد عليهِ فقتلوهُ

﴿ الحقد ﴾ وهو اضمار الشر اذا لم يتمكن من الانتقام * انظر كيف كان حقده على كافور وذمهُ لهُ كلما عنَّ ذلك سواءٌ كان مادحًا او راثيًا او مهنئًا . قال يرثي ابا شجاع فقال في اثناء القصيدة

أيموت مثل أبي شجاع فاتكٍ   ويعيش حاسدهُ الخصي الاوكعُ
ايدٍ مقطعة حوالي رأسهِ   وقفًا يصيح بها ألا من يصفعُ
أبقيتَ اكذب كاذب أبقيتهُ   واخذت أصدق من يقول ويسمعُ
وتركت أنتن ريحة مذمومة   وسلبت أطيب ريحة تتضوَّعُ

وروى لهُ بعض الرواة قصيدتي مدح في سيف الدولة لم يثبتا في ديوانهِ وفيهما هجاءٌ شديد في كافور

﴿ الكبر ﴾ اي استعظام المرء نفسهُ واستحسانهُ فعلهُ دون غيرهِ * كان ابو الطيب ذا كبرياء وتيهٍ كما قال فيهِ القائل

كان من نفسهِ الكبيرة في جيـ   ـش وفي كبرياء ذي سلطان

ومن كبرهِ انهُ كان اذا مدح سيف الدولة انشدهُ قاعدًا دون جميع الشعراء وبينما هو يمدحهُ يومًا بقصيدة لهُ وهو قاعد اعترضهُ بعض رجال الحضرة وعذلهُ في قعودهِ فنظر اليهِ ابو الطيب وقال لهُ اما سمعت مطلعها وكان ذلك المطلع قولهُ (لكل امرءٍ من دهرهِ ما تعوَّدا) وقد اشترط على سيف الدولة اول اتصالهِ بهِ انهُ اذا انشدهُ لا ينشدهُ الَّا وهو قاعد وانهُ لا يكلفهُ تقبيل الارض بين يديهِ فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط. وهذه الامور وان كانت تعد من مناقب ابي الطيب وتلحق بالانفة التي هي صون النفس عن الامور الوضيعة والحمية التي هي عدم قبول النقص والحرية والاباء الَّا انها لما كانت حالات معروفة واُمورًا مألوفة لشعراء ذلك الوقت فخروج ابي الطيب عنها وخرقهُ لاجماعهم عليها يعدُّ من كبريائهِ وتعاليهِ . ثم ان ابا الطيب لما قصد كافورًا ولم يتمكن عندهُ من هذه الحالة مال الى حالة اخرى ليتميز بها عمَّن سواهُ وهي انهُ كان اذا قام لمديحهِ وقف بين يديهِ وفي رجليهِ خفان وفي وسطهِ سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكهِ وهما بالسيوف والمناطق

قال ابو علي الحاتمي في رسالتهِ المشهورة كان ابو الطيب عند ورودهِ مدينة السلام قد

التحف برداء الكبر والعظمة لا يرى احدًا الّا ويرى لنفسهِ مزيّةً عليهِ حتّى اذا ثقلت وطأتهُ على اهل الادب بمدينة السلام قصدتُ محلّهُ فحين استؤذن لي نهض من مجلسهِ ودخل بيتًا الى جانبهِ ونزلتُ عن بغلتي وهو يراني ودخلت الى مكانهِ فلما خرج اليَّ نهضت فوفيتهُ حق السلام غير مشاحٍّ لهُ في ذلك وكان سبب قيامهِ من مجلسهِ ان لا يقوم لي عند موافاتي واعرض عني ساعة لا يعيرني طرْفًا ولا يكلمني حرفًا وكدت اتميَّز غيظًا واقبلت اسفّهُ رأيي في قصدهِ وهو مقبل على تكبرهِ ملتفت الى الجماعة الذين بين يديهِ وكل واحد منهم يومئ اليهِ ويوحي بطرفهِ ويشير الى مكاني ويوقظهُ من سنتهِ فما يزداد الّا ازورارًا جريًا على شاكلة خلقهِ ثم توجه اليَّ فما زادني على قولهِ "اي شيءٍ خبرُك"

ومن كبرهِ انهُ كان يرى نفسهُ في عداد الرؤساء ومنزلتهُ في منازل الملوك فيخاطبهم كما يخاطب القرين قرينهُ والصاحب صاحبهُ كقولهِ يخاطب ابن العميد

تفضلت الايام بالجمع بيننا   فلما حمدنا لم تدِمنا على الحمدِ

ونحو ذلك في شعرهِ كثير

ومن كبرهِ ايضًا وهوسهِ بنفسهِ انهُ كان يرى مدحهُ الرؤساء نعمةً عليهم وانهُ ان فارقهم بكوا لذلك واعولوا كما قال في سيف الدولة بعد فراقهِ لهُ

رحلتُ فكم باكٍ باجفان شادنٍ   عليَّ وكم باكٍ باجفان ضيغمِ
وما ربة القرط المليح مكانهُ   باجزع من رب الحسام المصممِ

وكما قال ايضًا

لئن تركنَ ضُمَيْرًا عن ميامننا   ليحدُثنَّ لمن ودَّعتهم ندمُ

ومن كبرهِ انهُ اذا همَّ بعتاب ملك او امير تغطرف في القول واستهان بهِ كقولهِ يعاتب سيف الدولة

وما انتفاع اخي الدنيا بناظرهِ   اذا استوت عندهُ الانوارُ والظلمُ
كم تطلبون لنا عيبًا فيعجزكم   والله يكرهُ ما تأتون والكرمُ

فهذه جملة في آثار القوة الغضبيّة في طباع هذا الرجل وما كان من ذلك في عداد المناقب والمثالب ونذكر الآن لهُ صفات اخرى عرف بها

فمن ذلك البخل * كان ابو الطيب شحيحًا تضرب ببخلهِ الامثال ولهُ في ذلك اخبار مشهورة فمنها ما رواهُ ابو الفرج الببغا (قال) كان ابو الطيب يأنس بي ويشكو من سيف الدولة ويأمنني على غيبتهِ وكان بيني وبينهُ عمار دون باقي الشعراء وكان سيف الدولة

يغتاظ من تكبرهِ وتعاظمهِ ويجفو عليهِ اذا كلمهُ والمتنبي يجيبهُ في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها واذكر ليلة قد استدعى سيف الدولة ببدرة فشقها بسكين الدواة فمدَّ ابو عبد الله بن خالويه طيلسانهُ فحثا فيهِ سيف الدولة صالحًا ومددت ذيل ذراعي فحثا لي جانبًا والمتنبي حاضر وسيف الدولة منتظر منهُ ان يفعل مثل ذلك فما فعل كبرًا عليهِ فغاظهُ ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبي انهُ قد فاتتهُ زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليهِ سيف الدولة فداسوهُ وصارت عمامتهُ في رقبتهِ فاستحى ومضت بهِ ليلة عظيمة

ومن بخلهِ انهُ دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفًا فلما نظر ابا الطيب نهض من مجلسهِ واجلسهُ في دستهِ ثم قال لهُ اختر سيفًا من هذه السيوف فاختار واحدًا ثقيل الحلى واختار ابن العميد غيرهُ فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترتهُ اجود ثم اصطلحوا على تجربتهما فقال ابن العميد فبماذا نجربهما فقال ابو الطيب في الدنانير يؤْتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب بهِ فان قدَّها فهو قاطع فاستدعى ابن العميد عشرين دينارًا فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسهِ المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسهُ واحد الخدام يلتقطها ويأْتي بها اليهِ فقال بل صاحب الحاجة اولى (قال) ابو بكر الخوارزمي كان المتنبي قاعدًا تحت قول الشاعر

وان احقَّ الناس باللوم شاعر   يلوم على البخل الرجال ويبخلُ

وانما اعرب عن طريقتهِ وعادتهِ بقولهِ

بليت بلى الاطلال اني لم اقف بها   وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمهْ

(قال) وحضرتُ عندهُ يومًا وقد احضر مالاً بين يديهِ من صلات سيف الدولة على حصير قد فرشهُ فوزنهُ وأُعيد الى الكيس وتخللت قطعة كاصغر ما يكون بين خلال الحصير فاكبَّ عليها بمجامعهِ يستنقذها منهُ واشتغل عن جلسائهِ حتَّى توصل الى اظهارها وانشد قول قيس بن الخطيم

تبدَّت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجبِ

ثم استخرجها فقال بعض جلسائهِ اما يكفيك ما في هذه الاكياس حتَّى ادميت اصبعك لاجل هذه القطعة فقال انها تحضر المائدة

(وقال) ابو البركات بن ابي الفرج المعروف بابن ابي زيد الشاعر قد بلغني انهُ قيل للمتنبي قد شاع عنك البخل في الآفاق حتَّى صار مثلاً وانت تمدح في شعرك الكرم واهلهُ وتذم البخل ألست القائل

ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ   مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ومعلوم ان البخل قبيح ومنك اقبح لانك تتعاطى كبر النفس وعلو الهمة وطلب الملك والملك ينافي سائر ذلك فقال ان للبخل سببًا وذلك اني اذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد فاخذت خمسة دراهم في جانب منديلي وخرجت امشي في اسواق بغداد فمررت برجل يبيع الفاكهة فرأيت عندهُ خمسة من البطيخ باكورة فاستحسنتها ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي فتقدمت اليهِ وساومتهُ ثمنها فقال لي بازدراء اذهب فليس هذا من اكلك فتماسكت معهُ وقلت ايها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن فقال ثمنها عشرة دراهم فلشدة ما جبهني بهِ لم استطع ان اخاطبهُ في المساومة فوقفت حائرًا ودفعت لهُ خمسة دراهم فلم يقبل واذا بشيخ من التجار قد مرَّ بنا فوثب اليهِ صاحب البطيخ ودعا لهُ وقال يا مولاي ها بطيخ باكورة باجازتك أحملهُ الى منزلك فقال الشيخ ويحك بكم هذا فقال بخمسة دراهم فقال بل بدرهمين فباعهُ الخمسة بدرهمين وحملها الى دارهِ ودعا لهُ وعاد فرحًا مسرورًا فقلت يا هذا ما رأيت اعجب من جهلك استمت عليَّ في هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت اعطيتك في ثمنهِ خمسة دراهم فبعتهُ بدرهمين محمولاً فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار. فقلتُ في نفسي ان الناس لا يكرمون احدًا اكرامهم من يعتقدون انهُ يملك مائة الف دينار واعتمدت ان يكون عندي مثلها فانا اجدُّ في ذلك على ما تراهُ حتَّى يقولوا ان ابا الطيب قد ملك مائة الف دينار . وقد وقع في شعر ابي الطيب الوصيَّة بالحزم وضبط الاموال كقولهِ في قصيدتهِ التي اولها

أرد من الايام ما لا تودّهُ   واشكو اليها بيننا وهي جندهُ

ومنها
وأتعب خلق من زاد همهُ   وقصر عمَّا تشتهي النفس وجدهُ
فلا ينحلل في المجد مالك كلهُ   فينحل مجد كان بالمال عقدهُ
ودبرهُ تدبير الذي المجد كفهُ   اذا حارب الاعداء والمال زندهُ
فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ   ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

يصف كافورًا بالبخل ويرغبهُ فيهِ ☆ ومن نعوت ابي الطيب انهُ كان لا يحب شرب الخمر يعرف فيهِ ذلك ندماؤُهُ واصحابهُ وربما اغلظوا عليهِ في شربها فيأْباها فيحلفون بالطلاق ونحوهِ ويكرهونهُ عليها كما قال

وأخ لنا بعث الطلاق أليةً   لأُعللنَّ بهذه الخرطومِ
فجعلت ردي عرسه كفارة   عن شربها وشربت غير اثيمِ

وكان ينهى من يجالس من الامراء عن شربها حتَّى ان ممدوحهُ المشهور بدر بن عمار كان تاب عنها ثم عاد فقال فيهِ ابو الطيب

يا ايها الملك الذي ندماؤهُ　　شركاؤهُ في ملكهِ لا ملكهِ
في كل يوم بيننا دم كرمة　　لك توبة من توبة في سفكهِ
والصدق من شيم الكرام فقل لنا　　أمن الشراب تتوب أم من تركهِ

ومن نعوتهِ انهُ كان قوي الذاكرة جدًّا وقيل لهُ في ذلك فقال

انما احفظ المديح بعيني　　لا بقلبي لما أرى في الاميرِ
من خصال اذا نظرت اليها　　نظمت لي غرائب المنثورِ

وكان يحب اللعب بالشطرنج ومن شعرهِ في ذلك وقد جاء المطر

ألم ترَ ايها الملك المرجَّى　　عجائب ما رأيت من السحابِ
تشكى الارض غيبتهُ اليها　　وترشف ماءهُ رشف الرضابِ
واوهم ان في الشطرنج همي　　وفيك تاملي ولك انتصابي

* * *

العلاج الجديد بحقن المواد العضوية

بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود.

ان طريقة الحقن تحت الجلد بالمواد العضويّة قد نتج عنها حديثًا فوائد عظيمة اقرَّ بها الاطباء حتَّى عرفنا ما ورد لنا في الجرائد الطبيّة ومن مجرباتنا الخصوصيّة ان هذه المواد صارت علاجًا كافيًا اكثر من بعض الادوية التي استعملت في امراض خصوصيّة ولذا رغبنا في ذكر بعض المواد العضويّة التي جرَّبناها مع بيان النتائج التي نتجت عنها فنقول

من هذه المواد سائل برون سيكار الفرنسوي وهو سائل الخصى ولما قال بهِ مكتشفهُ اول مرة في باريس سنة ١٨٨٩ استهزئ بكلامهِ ثم انتشر استعمالهُ حتَّى صار الآن من الطرق العلاجيّة المعتادة وزاد الاعتناء بهِ لما حسن طريقة تحضيرهِ بارسون قال لانهُ صيَّرهُ خاليًا من العفونة التي كانت منشأً الضرر الحاصل من استعمالهِ. ومن الآلة الوسخة المستعملة للحقن فلاجل تجنب هذا الضرر استعمل السائل الذي في فقاعات من زجاج وترك السائل الموضوع في اواني محكمة. واما نحن فنستعمل السائل الذي نحضرهُ جديدًا من خصى الارانب خاليًا من كل عفونة لان مدة التحضير قصيرة ونحقنهُ بحقنة براڤاس المطهرة من كل عفونة بالكؤول

وهو في درجة ٦٠ ونطهر اواني التحضير ايضاً كل مرة وبهذه الطريقة حقنا عدة مرات ولم يحصل من ذلك تغير موضعي ولا ضرر في الجسم وقد استعملنا هذا السائل ايضاً في معالجة الشلل الصاعد وفي الضعف وفي العنة المكتسبة فحصلت منهُ نتيجة مفيدة فضلاً عن كونه يعيد قوة الشيوخ التي ضعفت من تقدم السن

ومنها السائل العصبي* وقد مدح پول هذا السائل المحضر من المخ والنخاع وعبّر عن استعمالهِ بالنقل العصبي . وقد ادعى بورنس انهُ مثل السائل المتقدم ذكرهُ لداعي ان اصل ذاك في المركز العصبي الشوكي ثم ظهر ان هذا القول غير صائب وغاية الامر ان النتائج من استعمال سائل برون سيكار وسائل پول متشابهة وتلك النتائج هي فعل مقوّ وفعل منبه لبعض الظواهر العصبيّة . فقد شوهد من استعمالها للمصابين باستحالة عناصر النخاع او المخ (اسكليروز) زوال الظواهر المؤلمة كالآلام المحرقة (برون سيكار) وسكون في الحركات المختلفة وفي الارتعاش الذي يشاهد في الاسكليروز اللطخي ولكن لم يحصل الشفا التام في هذه الاحوال حتّى الآن . وقد ادّعى بعضهم انهُ شفى السرطان بحقن السائل العضوي ولكن يغلب على الظن ان من قال ذلك كان تشخيصهُ غير حقيقي وغاية ما يقال ان هذا السائل نافع لضعفاء العصب والممسوكين بالريح (هيستيريا) ومزيل لآلام المصابين بتغير في نسيج المخ والنخاع

ولم يعلم الى الآن حقيقة تركيب الجوهر المؤثر من هذه المواد المحقونة لاجل تفسير الظواهر الطبيّة او الفسيولوجيّة الناتجة عن استعمالها وهذا هو الذي دعا البعض لان يركب سائلاً يقرب من هذه المواد العضويّة فقد ركّب بويهل من بطرس برج سائلاً من ملح الخصى

وابن كروك من بروكسيل اجتهد في عمل مركب من محلول فوصفات الصودا المعتدل بقدر ٥٠ في المئة وحقن كميّة منهُ من سنتيمتر مكعب الى ثلاثة فاوجد قوة عصبيّة واضحة وعلى حسب رأيهِ يمكن الحصول على نتيجة من هذا المحلول كالنتيجة التي تحصل من سائل الخصى او السائل العصبي وهي شفاء اضطرابات وظائف المحور العصبي الدماغي الشوكي وتلطيف التغير العنصري لهذه المراكز العصبيّة

ومنها سائل كوخ الالماني* الذي اكتشفهُ سنة ١٨٩٠ في مدينة برلين واول ما تكلم عليهِ في المؤتمر الطبي الدولي الذي عقد في مدينة برلين سنة ١٨٩٠ وكنت وقتئذٍ من جملة اعضاء هذا المؤتمر مندوباً من قبل حكومتنا المصريّة ونحن الآن في غنى عن شرح هذا السائل لاننا شرحناهُ في كتابنا المعروف بالخلاصة الطبيّة في الامراض الباطنية وقد حقنا بهذا السائل نحو ٢٥٠ مرةً في مستشفى القصر العيني وفي القاهرة والذين حقناهم من المسلولين

والمجذومين فكانت نتيجتهُ في المسلولين انهُ لم يجدِ نفعًا في الذين كانوا في الدرجة الثالثة من السل كما قال مكتشفهُ واما الذين في الدرجة الاولى والثانية فقد تحسنت حالة بعضهم حَتَّى ظنوا انهم شفوا لكن لما رأينا بصاقهم بالنظارة المعظمة وجدناهُ مشتملاً على باسيل الدرن المعروف عند الاقدمين بعفونة السل من قبل ان يكتشفوهُ في عصرنا (راجع كتاب ابن سينا) وهذا ما منعنا من القول بالشفاء التام مع ان السعال تناقص والحمى لم تعد والبصاق تناقص ايضًا وصار ابيض والقوة عادت واحد المرضى زاد وزنهُ

واما نتيجتهُ في المجذومين فبعضهم تحسنت حالتهُ والبعض شفي وقد تحقق شفاؤُهُ لنا بدليل ان درن الجذام زال ولم يبقَ منهُ الاَّ اثر بقع وعاد الاحساس الى اصلهِ في المواضع التي كان مفقودًا منها والتحمت قروح الاصابع الناتجة من لين الدرن وعادت قوة المريض كما كانت . وحيث ان المشاهدات التي اجريتها في تجاربي عديدة ومطولة فليس محل شرحها هنا واكتفيت بما ذكر

ولا نتكلم هنا على السوائل الاخرى العضويّة لانها لم تأتِ بفائدة حَتَّى الآن وذلك كسائل البنكرياس والسائل الكلوي اذ لو حقن المريض بسائل البنكرياس في الديابيطس المزمن والسائل الكلوي في التهاب الكلى المزمن لما رجع البنكرياس الى اصلهِ ولا نسيج الكلى التالف

وحقن المواد العضويّة لاجل معالجة الهيضة لم يأتِ بفائدة ايضًا حَتَّى الآن وذلك لان معد المتهاضين لا تساعد على بقاء ادوية فيها لداعي القيء والاسهال وحقن هذه المواد العضويّة المضادَّة للهيضة تحت الجلد لا يجدي نفعًا ايضًا في هذا المرض لعدم امتصاصها بالاوردة لان الدورة تكون متعطلة خصوصًا في الدور الجليدي فتبقى موادُّ الحقن في الجسم وتصير سمية عوضًا عن ان تكون دوائيَّة

وقد مُدح استعمال الحمض اللبنيك وغسل المعدة والامعاء وعلى حسب تجاربنا نجح معنا استعمال عصارة الليمون الحامض وعصارة البصل والحمض الفنيك

واحسن علاج لهذا الداء هو الوقاية منهُ ولهذا فعلت التجاريب في معمل باستور الشهير بتلقيح مادة الهيضة كما تلقح المادَّة الجدريّة و يجب الاستمرار على هذه التجارب عسى ان يتوصل الى وقاية الانسان من شر هذا الداء

ولا بدَّ من عزل المرضى المتهاضين والتبخير لازالة العفونة في اول المرض لقلة عدد المصابين بها والاَّ فهذه الاجراءات الصحيَّة لا تفيد بعد انتشارهِ

إكرام العلماء

وتمثال السر رتشرد أوِن

طالما اقمنا الادلة على ان للعلماء اليد الطولى في ايجاد العمران وتعزيز شأنهِ وتعضيد اركانهِ وذكرنا الشواهد الكثيرة لذلك من تواريخ العرب والعجم . وقد رأينا الآن شاهدًا جديدًا عند الامة الانكليزيَّة التي تعدُّ في مقدمة امم الارض عزَّةً وغنًى فآثرنا نشرهُ ليضاف الى غيرهِ من الشواهد التي ذكرناها قبلاً : ذلك ان جماعة من العلماء والعظماء عزموا ان يقيموا تذكارًا للسر رتشرد اون العالم الطبيعي الذي ذكرنا خبر وفاتهِ في الجزء الرابع من المقتطف فاجتمعوا لهذه الغاية في دار الجمعيَّة الملكيَّة منذ ايام قليلة برئاسة ولي عهد مملكة الانكليز وكان معهُ دوق تك واللورد كلفن والاستاذ فوستر والاستاذ هكسلي واسقف رونشستر وغيرهم من كبار العلماء ورجال السياسة وخطب فيهم ولي العهد قائلاً

لقد اكرمتموني كثيرًا بطلبكم مني الترأُّس على هذا الاجتماع النادر المثال فاننا قد اجتمعنا لكي نبدي إكرامنا واحترامنا لذكر رجل عظيم من رجال العلم قُبض من بيننا حديثًا ونعلن ذلك بعلامة ظاهرة . وسيبقى اسم السر رتشرد اوِن على توالي الاعقاب اسم رجل عظيم اشتهر في علم التشريح وعلم الحيوان وعلم البلينتولوجيا . واظنكم تبيحون لي ان اقول كلمة عما اعرفهُ عنهُ شخصيًّا فقد عرفتهُ منذ خمس وثلاثين سنة وكنت اتردَّد عليهِ واتعلَّم منهُ ولقد ترك اثرًا لا يمحى في نفوس جميع معارفهِ بانسهِ ولين عريكتهِ فان مَن كان يسمعهُ يشرح تاريخ عظم من العظام القديمة المتحجرة كان يشعر بفكاهة حديثهِ كمن يسمعهُ يقص نادرة من النوادر الفكاهيَّة . وكان اسلوبهُ في التعليم على غاية من الوضوح والتثبت كما تعلمون ولم يكن متعجّلاً في احكامهِ . وقد عظمت شهرتهُ في علم الحيوانات الحيَّة والمنقرضة وخلف في ذلك العالم كيثيه . ومن اعمالهِ العظيمة التي كانت مسرَّة حياتهِ انشاؤهُ متحف التاريخ الطبيعي الذي هو الآن تحت ادارة صديقنا السر وليم فلَوَر . وقد تتذكرون المصاعب الجمَّة التي صادفها لمَّا عيّن مدبرًا لقسم التاريخ الطبيعي في المتحف البريطاني سنة ١٨٥٦ فانهُ رأَى ان ما فيهِ من الحيوانات وبقاياها لا يمكن ان يعرض كلهُ ما لم يُنقل الى مكان رحب فطلب من الحكومة ان تبني لهُ دارًا مناسبة لذلك وقدَّم المستر غلادستون طلبهُ الى البارلمنت سنة ١٨٦٢ وكان من اشد انصارهِ فرُفض طلبهُ ومن الغريب ان الذي عارضهُ فيهِ انما هو المستر دزرائيلي العظيم . وقدِّم هذا الطلب بعد عشر سنوات فقُبِل وكان لنا منهُ دار

تحف التاريخ الطبيعي التي نعرفها ونباهي بها . وكان السر رتشرد اون كثير الاهتمام بالمستعمرات البريطانية وقد جلب منها امثلة كثيرة وضعها في هذا المتحف . وكان له اليد الطولى في المسائل الصحية كما يظهر من ارتباطه بذلك الرجل الشهير السر ادون تشدوك . ولدينا الآن امور اخرى يجب قضاؤها وستسمعون فيها اقوالاً احسن من اقوالي وافصح من الرجال الفضلاء الذين سيتكلمون عليها ولذلك لا اتعبكم باطالة الكلام . واسمحوا لي ان اكرر لكم شدة رغبتي في اقامة تذكار يليق بهذا الرجل العظيم وشديد اعتباري لتخويلكم اياي الترأس على هذا الاجتماع الجليل المفيد

ثم قام اللورد كلفن (وهو الذي كان مشهورًا باسم السر وليم طمسن) وطلب ان يقام تذكار للاعمال العظيمة التي عملها السر رتشرد اون لترقية علم التشريح وعلم الحيوان وعلم البلينتولوجيا وقال انه لو لم يفعل السر رتشرد اون شيئًا غير انشاء متحف التاريخ الطبيعي لاستحق على ذلك وحده شكر الامة كلها ولكنه لم يترك فرعًا من فروع التاريخ الطبيعي الا وقد اغناه بمباحثه واكتشافاته . وفي سجل الجمعية الملكية ثلثمئة وستون رسالة علمية كتبها هذا العالم العظيم وكلها من الطراز الاول . اما من حيث معرض التاريخ الطبيعي فكل واحد من رعية الحكومة الانكليزية في جزائرها وفي مستعمراتها وكل زائر للبلاد الانكليزية يرى متحف التاريخ الطبيعي ويشعر بانه قد استفاد منه ومن ترتيب ما فيه

وقام بعده الاستاذ هكسلي وقال انه قلَّ من مكنته الاحوال من معرفة اشغال هذا الرجل العظيم الذي اجتمعنا لنقيم ذكرًا لاعماله اكثر مني . ولقد امتازت اعماله بطول مدتها وبارتقائه فيها مقام الشهرة بسرعة فائقة واستيلائه على ذلك المقام زمانًا طويلاً فانني نظرت الى حلقة العلماء في مدينة لندن منذ اكثر من اربعين سنة وفتشت عن كنّ اقيم فيه وكان في تلك الحلقة حينئذٍ اربعة انوار ساطعة الضياء اولهم هرشل وثانيهم فاراداي وثالثهم ليل ورابعهم اون ولم يكن اون دونهم في شيء . وكنت اذا نظرت الى المشهورين بالعلوم البيولوجية التي كنت اهتم بها اكثر من غيرها لم اجد في المسكونة اشهر من مُلَّر في برلين وملن ادوردس في باريس وفن بير في بطرس برج ولكن ما منهم من كان يفوق اون علمًا وتحقيقًا . وكان الرأي العام حينئذٍ ان اون هو خليفة كيفيه وان ما الفه في التاريخ الطبيعي لا يقلُّ عما الفه كيفيه فيه . الا ان اون خلف ايضًا سنت هيلر واوكن وغيرهما من كبار العلماء الذين كان كيفيه مخالفًا لهم . وقد يذكر الذين قرأوا غيتي انه حسب المناظرة بين كيفيه وسنت هيلر اعظم شأنًا من الثورة الفرنسوية وسواء صحَّ تشبيهه او لم يصح فلا شبهة في ان كلًّا من كيفيه

وسنت هيلر كان مصيبًا من بعض الوجوه وان في المسالة مذهبًا ثالثًا فيهِ من الاصابة ما في مذهبيهما وهذا المذهب اتسع اتساعًا لا مثيل لهُ بتحقيقات أوِن . واذا ثبت هذا المذهب وتعزّز على كل المذاهب كما اعتقد فسيمدحنا الخلف لاننا اقمنا تذكارًا للاعمال العظيمة التي اتمها اوِن بهمتهِ العليّة وتوقُّد ذهنهِ النادر المثال وانصبابهِ على تحقيق المبادي الّتي كان متمسكًا بها .

وقام بعدهُ دوق تك وطلب ان يكون التذكار تمثالاً من الرخام يقدَّم الى المتحف البريطاني ليوضع في متحف التاريخ الطبيعي وقال لاشبهة عندي في أن هذا اليق مكان نضع فيهِ تمثال صديقنا الذي نعجب بهِ فانهُ بيتهُ الثاني — البيت الذي اقام فيهِ اكثر ايامهِ الاخيرة وزد على ذلك انهُ يحسن بكل من يدخل متحف التاريخ الطبيعي ان يرى اولاً صورة الرجل الذي انشأ لنا هذا المتحف .

ثم قام السر وليم فلوَر وقال انهُ خلف السر رتشرد اون مرتين فمكنتهُ الفرص من معرفة قيمة اعمالهِ ولذلك ينتظر منهُ ان يتكلّم على اعمال الفقيد واطوارهِ ولكنهُ لم يبقَ داعٍ لذلك بعد المقدَّمة الّتي قدَّمها سموّ ولي العهد والكلام الذي قالهُ الاستاذ هكسلي الذي ليس اجدر منهُ بالحكم في منزلة الفقيد من باب علمي . ولكنهُ رأى ان يذكر امرًا واحدًا وهو ان السر رتشرد اون ألّف من الكتب والرسائل ما يعجز عنهُ اعظم العلماء لكثرتهِ . ولا ينتظر ان تكون كل مؤلفاتهِ بالغة حد الدقة والتحقيق ولكنها كانت كذلك . وذكر مثالاً لذلك وهو ان السر رتشرد اون قرأ رسالة في الجمعيّة الملكيّة سنة ١٨٣٧ وصف فيها امورًا غريبة في ادمغة الحيوانات ذوات الكيس وقال انها تمتاز بذلك عن غيرها من رتبتها . وقُبل قولهُ في هذا الشان نحو ثلاثين سنة بدون معارض ثم قرأ رجل آخر مقالة اخرى في هذا الموضوع امام اعضاء تلك الجمعيّة سنة ١٨٦٥ وخالف فيها السر رتشرد اون فقبل كثيرون من العلماء رأيهُ ولكن قام الدكتور سمنتون منذ بضعة اشهر ودقق البحث في هذا الموضوع نفسهِ فاتصل الى تحقيق رأي السر رتشرد أوِن . ثم قال " انني انا هو الذي كتب الرسالة الثانية وقد رأيت ان اذكر ذلك في هذا المقام اعترافًا بفضل الرجل العظيم الذي خالفتهُ سنين كثيرة "

ثم عينت لجنة لاهتمام باقامة التمثال وفيها ولي عهد انكلترا ودوق تك ورئيس اساقفة كنتربري ورؤساء الجمعيات العلميّة وكثيرون من كبار العلماء كفوستر وهكسلي وباجت وغيرهم . وشكر السر هنري اكلند سموّ ولي العهد على انتظامهِ بينهم في هذا العمل فاجابهُ ولي

العهد قائلاً أؤكد لكم انني سررتُ بمشاركتكم في هذا المجتمع وقلما كان من نصيبي ان اصغي الى خطب افصح وابدع من الخطب التي فاهَ بها هؤلاء الفضلاء . وما من احد يفوقني في الاهتمام باجراء ما عزمنا على اجرائهِ تذكارًا لصديقنا المأسوف عليهِ السر رتشرد اوِن وغاية ما ارجوهُ ان يكون التمثال الذي سنقيمهُ لهُ لائقًا بشأنهِ

* * *

غرائب النبات

فلمَّا يمرُّ فصل الازهار وتعدُّد الاثمار الاَّ و يوافيك اولادك يومًا بعد يوم بثمرة مزدوجة و برتقالة في قلب برتقالة يسألونك تعليل ذلك فلا تجد نفسك اعلم منهم بهِ . وهذه الغرائب النباتيَّة لا تقتصر على الاثمار بل تتناول الاغصان والاوراق والازهار ولكنها لم تخرج عن عادتها المألوفة وسنتها المتَّبعة الاَّ لتكشف لك القناع عمَّا في تاريخها من الاسرار فهي كالغبيّ الذي تسكرهُ خمرة الظفر فيكشف ما يكنهُ طبعهُ و يخفيهِ وقت الحذر

اما الاغصان فاكثر ما يرَى فيها من الغرائب نموُّها عريضة كالفدد و يكثر ذلك في الهليون ونحوهِ من النباتات التي تخرج اغصانها من الارض غضةً خصيبة . ذكر الاستاذ هلسند انهُ رأى غصنًا من الهليون عرضهُ نحو عشرة سنتيمترات وثخنهُ سنتيمتر واحد مع ان اغصان الهليون اسطوانيَّة كما لا يخفى . وقد شاهدنا خراعيب الازدرخت عريضة لا يقل عرضها عن اثني عشر سنتيمترًا ولا يزيد سمكها على سنتيمتر واحد وكان سطحها مضلعًا حتَّى كأنها اغصان كثيرة ملتحمة بعضها ببعض وثبت ذلك اخيرًا بتفرُّع رأسها الى فروع كثيرة. وقد رأينا ذلك في اماكن مختلفة مما يدلُّ على انهُ غير نادر

ومن اغرب ما شاهدناهُ من هذه القبيل تفرُّع اغصان الصبر العادي (التين الشوكي) ولاسيما الاغصان التي تظهر من الارومة فانها تذهب كل مذهب حتَّى تكاد تماثل انواع الصبر المختلفة في اتخاذها الشكل الكروي والاسطواني والمسطَّح والمفرَّض . وقد تتراكم الاثمار فيها بعضها فوق بعض تراكمًا غريبًا . ومما هو شائع في الصبر ظهور الثمرة والغصن (القرط) محيط بها وهو ما يسمَّى في الشام جملاً ولهذه الجمال شكل واحد تقريبًا فان الغصن يكون كمثري الشكل مسطحهُ والثمرة بقرب رأسهِ مائلةً الى جانبهِ الايمن او الايسر

ومنها تفرُّع اغصان النبات المعروف باسم عرف الديك (Celosia) من قمتها حيث تظهر الازهار. فانها تماثل عرف الديك شكلاً ولونًا وقد تبلغ حدًّا فائقًا في اتساعها وتجعُّدها .

نذكر اننا رأينا مرةً رأس غصن كالمروحة في اتساعهِ يبلغ عرضهُ من طرف الى طرف على محيطهِ الاعلى لا اقل من ثلاثين سنتيمترًا ولو بُسطت غصونهُ لبلغت مترًا في طولها وهي ملزوزة لزًّا بديعًا . وقد تتدلَّى من هذا العرف قددٌ حمراءُ كما تتدلى من عرف الديك الرومي (الحبشي)

هذا من قبيل الاغصان اما الاوراق فيكثر خروجها عن القياس بالتحام ورقتين او ثلاث ورقات معًا . وقد شاهدنا ذلك في اوراق الليمون والتفاح وغيرها . وفي ظهور وريقات اكثر من المعتاد كما في النفل (البرسيم) فان اوراقهُ ثلاثيَّة اي في كل ورقة منهُ ثلاث وريقات ومنهُ اسمهُ باللاتينيَّة تريفوليوم اي الثلاثي الاوراق . وقد يتفحَّص الانسان حقولاً فسيحةً مزروعة بهِ فلا يرى فيها ورقة رباعيَّة . اخبرنا استاذنا الشيخ ناصيف اليازجي انهُ كان مرةً مع الامير بشير الشهابي في صيد الحجال بجبال لبنان وكان مع الامير حاشية كبيرة من الخدم والحشم والاتباع وكان الفصل ربيعًا والارض مكتسية بحلل السندس فلما جلسوا في القائلة نظر الامير في اوراق النفل فرآها كلها ثلاثيَّة فقال لمَن حولهُ مَن وجد منكم ورقة رباعيَّة اعطيتهُ دينارًا (بندقلي) فقمتُ مع الاتباع نفتش عن ورقة رباعيَّة فلم نجد وكان بيننا رجل مهذار خفيف الروح يستصحبهُ الامير معهُ لتسليتهِ فعاد و بيدهِ ورقة رباعيَّة فاخذها الامير منهُ واعطاهُ الدينار ثم تفحَّصها فوجد ورَيقتها الرابعة ملصوقة بها لصقًا فناداهُ وقال ما فعلتَ بنا ايها الغدَّار . فقال ان الامير اعزَّهُ الله لم يشترط ان تكون الورقة الرابعة خلقيَّة وأنَا نحاشيهِ عن ان يطلب المستحيل فرضي الامير بجوابهِ وعفا عنهُ . وهذه النادرة تؤيد ندرة الاوراق الرباعيَّة . ولكننا قد رأينا اوراقًا رباعيَّة في ضواحي صيداء وفي ضواحي القاهرة وقال الاستاذ هلستد انهُ رأى نفلةً فيها اربع عشرة ورقة رباعيَّة ونفلةً اخرى فيها سبع عشرة ورقة خماسيَّة ورأى غيرهُ ورقة سداسيَّة ولكنها مجتمعة من ورقتين كما ظهر من ساعدها . وقد ينتأُ من اوراق النبات وريقات جانبيَّة او باطنيَّة وتتشكل باشكال مختلفة

وغرائب الازهار اكثر من غرائب الاوراق والاغصان وابدع . ترى في الشكل الاول صورة وردة ظهر فيها غصن فيهِ اوراق ووردة أُخرى وذلك نادر في غير الورد والقرنفل . ولكنَّ اكثر غرائب الازهار في المكبس منها اي الذي استحالت اسديتهُ ومدقتهُ الى اوراق كما في الورد غير النسرين والقرنفل والزنبق المكبَّس والفل المكبَّس والمنثور المكبَّس وهلمَّ جرًّا فان الاوراق تحاول التغلُّب على الاسدية والاسدية تحاول البقاء فتظهر على جانب

الورقة او على رأسها او نحو ذلك مما يطول شرحهُ. والاوراق التي اصلها اسدية لا تتخذ شكلاً واحدًا بل اشكالاً مختلفة كمن اضاع اصلهُ وخلع العذار فيتستّر كل ساعة بستار

واغرب من ذلك كلهِ ان ورقة من زهر مكبس ظهرت كبيرة جدًا فلما شقت ظهر في قلبها مدقة صغيرة حولها اسدية اي ظهرت زهرة ضمن ورقة زهرة أُخرى

وغرائب الازهار ليست باشد من غرائب الاثمار فكثيرًا ما توجد ثمرة داخل ثمرة كما في البرتقال وقد توجد برتقالة صغيرة تحت قشرة برتقالة كبيرة . واغرب من ذلك اننا شاهدنا مرةً ليمونة نصف قشرها اصفر ونصف قشرها برتقالي فلما نزعنا قشرها وجدنا نصفها حلوًا

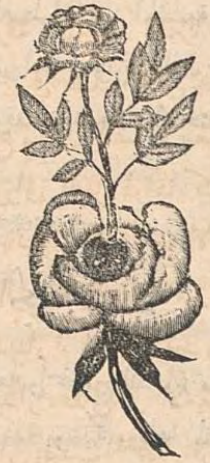

الشكل الاول

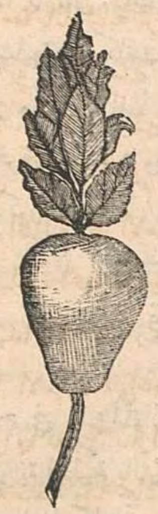

الشكل الثاني

والنصف الآخر برتقالاً ووجدنا مرةً اخرى برتقالاً فيها حص واحد حلوٌ وكان قشره كقشر الليمون الحلو ايضًا

ومنها ظهور غصن صغير في الثمرة كما ترى في الشكل الثاني . والاثمار المزدوجة كثيرة جدًا فلا يندر ان ترى تفاحةً بتفاحتين وتينة بتينتين او بثلاث تينات او باكثر وخيارةً بخيارتين او باكثر وقد تكون التفاحة الواحدة بجانب اختها او فوقها

وقد شاهدنا مرةً حبة عنب لا تفرق عن ثمرة الطماطم (البندورة) شكلاً وحزوزًا وكان قطرها من جانب الى آخر نحو اربع سنتيمترات ومعها في العنقود حبات اخرى تشابهها وما بقي فمثل بقيّة حبوب العنب . وذكر الاستاذ هلستد انهُ رأى صورة سنبلة من سنابل

الذرة تشبه يد الانسان من رسغها الى آخر الاصابع . وقال ان هذه الاشكال الغريبة لا تقتصر على انواع النبات الظاهرة للعيان بل تتناول ايضًا النباتات الميكرسكوبيَّة الَّتي لا ترى بالعين لصغرها فانها قد تشذُّ عن شكلها العادي وتتشكل باشكال غريبة فتضلُّ الباحثين عنها

والاسباب الداعية الى هذه الشواذ في الاوراق والاغصان والازهار والاثمار يمكن قسمتها الى قسمين الواحد ميل النبات الى الرجوع الى اصلهِ فاصل الاسدية اوراق استحالت اسدية فاذا فكَّت بعض القيود التي تقيدها بصورتها الحاضرة عادت الى اصلها . واصل الثمر غصن فاذا تيسَّر لهُ عاد غصنًا كما كان . والثاني ميلهُ للانفعال بالعوارض الخارجيَّة فان المخالفة سنَّة في الطبيعة كالمشابهة ولو كانت اقل اضطرادًا من المشابهة ولذلك نرى الولد يشبه والدَيهِ في اكثر الامور ولكنهُ يخالفهما في امور اخرى ولولا ذلك ما تعدَّدت الانواع ولا تباينت الاصناف ولا فرق بين فرد وآخر . وقد يزيد هذا الاختلاف في بعض الاحايين وتتولد منهُ الشواذ المذكورة آنفًا

قحْف الجماجم

يراد بقَحْف الجماجم في هذه المقالة كسرها واستخراج الدماغ منها لسبب جراحي وقد عُرِّب في المدرسة السوريَّة الطبيَّة بالتَّرْفنَة من كلمة يونانيَّة معناها المثقب اسم الآلة الَّتي يُثقب بها الرأْس ولم نعدُل عنها الى كلمة قحف الَّا لانَّ هذا الفعل نفسهُ كان مستعملاً عند العرب كما سيجيءُ في آخر هذهِ المقالة

ومن اغرب ما اكتشفهُ علماءُ الاركيولوجيا حديثًا انَّ بعض الاقدمين من سكان اوربا كانوا يقحفون جماجمهم اي يثقبونها ويستخرجون الدماغ منها لاغراض سيجيءُ ذكرها . وقد كشفت الجماجم المثقوبة اول مرة سنة ١٦٨٥ وذكرها مونتفوكون العالم الفرنسوي وقال انهُ رأَى جمجمة مثقوبة من مكانين والظاهر ان صاحبها عاش بعد ثقبها وشفيت جراح رأْسهِ . ثم وجدت جماجم اخرى سنة ١٨١٦ وبينها جمجمة فيها ثقب طولهُ ثلاث عقد وعرضهُ عقدتان وقد شفي صاحبها وعاش بعد ذلك عدة سنين على ما قالهُ كيثيه العالم الطبيعي . ولم تعلم حينئذٍ علة هذه الثقوب وبقي العلماءُ يظنون انها نادرة جدًّا وانها حادثة من جراح اصيب بها اصحابها في ساحة الوغى الى ان قام الدكتور برونير وقال انهُ رأَى جماجم كثيرة

من جماجم الذين سكنوا اوربا في العصر الحجري وقد ثقبت في الحياة او بعد الممات . وبعض الذين ثقبت جماجمهم في حياتهم عاشوا بعد ثقبها كما يظهر من ميل العظم الى النمو والالتحام . ثم تناول هذا الموضوع الدكتور بروكا الشهير ونشر مقالة مسهبة فيهِ سنة ١٨٧٦ وتلاهُ غيرهُ من العلماء كالموسيو نادلياك والكونت دلفيلاً

وظهر من مباحث هؤلاء العلماء وغيرهم ان الشعب الذي كان يثقب جماجمهُ اتى اوربا من بلاد القوقاس والقرم وانتشر في بلاد الالمان والدانيمرك واسوج ودخل بر بطانيا وفرنسا وتحصّن في برتاني من اعمال فرنسا ثم انتقل الى اسبانيا والبرتوغال وعبر بوغاز جبل طارق وانتشر في شمالي افريقية وسار الى بلاد الشام واقام في فلسطين . والمظنون ان الاموريين الذين كانوا يسكنون بلاد الشام منذ ثلاثة آلاف سنة هم من بقايا هذا الشعب . ولم يذكر ذلك في كتاب ولا رواهُ احد من الرواة بل استنتجهُ علماء العاديات استنتاجًا من مدافن هذا الشعب الباقية الى الآن فانها منتشرة في البلدان المشار اليها . ويستدلُّ من قِدَم الآثار التي فيها على ان ذلك الشعب سار في الخطة التي ذكرناها وكان ذا بأْس وصولة يخضع الشعوب التي يمرُّ بها ويتخذ رجالها عبيدًا ونساءها إماء . واسلحتهُ وادواتهُ من الصوان وهي بالغة حدَّ الاتقان في قطعها وصقلها من فؤوس وسهام وخناجر . ولم يكن يدفن موتاهُ في اول الامر بل كان ينزع لحمها عن عظمها ويدفن العظم ولعلهُ كان يأْكل اللحم او يطعمهُ للوحوش والكواسر ولم تزل آثار سكاكين الصوان على العظام وبعض هذهِ العظام موضوع في غير مكانهِ فتجد اليد اليمنى موضوعة في الكتف اليسرى واليد اليسرى في الكتف اليمنى . ولكن ذلك كلهُ ليس محل الغرابة وانما محل الغرابة هو ان بعض الجماجم مثقوب ولا يكون الثقب في جهة واحدة بل يختلف مكانهُ ولكنهُ لا يكون الاَّ حيث الرأْس مغطى بالشعر

والثقوب المشار اليها لم تحدث في ساحة القتال من ضرب سيف او فأْس لانهُ لم يكن عند ذلك الشعب سيوف من الحديد والشبه بل ادوات من الصوان يتعذر قطع العظم بها قطعًا مستويًا خاليًا من الكسر والشق . ويظهر ايضًا ان بعض الناس ثقبت رؤُوسهم وهم اطفال ثم عاشوا وصاروا رجالاً ونساء وعظام رؤُوسهم مثقوبة اما الثقب فكان بادوات من الصوان فيمسك الثاقب الاداة بيدهِ ويقطع بها اللحم ويكشطهُ ثم يديرها على العظم ولا يزال ينحتهُ في دائرة حتَّى يقطع قطعة مستديرة فينتزعها منهُ

وفي دار التحف بمدينة لسبون عاصمة البرتوغال جمجمة شرع القاحف في قطع عظمها ولم يتم عملهُ . وفي متحف بروكا جمجمة انسان آخر مات بينما كانوا يثقبون راسهُ . وقد وجدت

جماجم ثقبت بآلة مسننة كالمنشار. ووجد البارون او باي جمجمة ثقبت مرتين في حياة صاحبها

والظاهر ان الذين كانوا يثقبون رؤُوسهم كانوا يأْخذون قطع العظم المنزوعة منها و يعلقونها في رقابهم لان هذه القطع توجد في قبورهم وقد ثقبت ثقبًا صغيرًا من احد جوانبها او ثقبين لتتعلق بها وقد صقلت من طول الاستعمال

ومما هو من الغرابة بمكان ان ثقب الجماجم كان مستعملاً في اميركا ايضًا فقد وجدت فيها جماجم قديمة مثقوبة كالجماجم التي وجدت في اوربا . وان اهالي الجبل الاسود يثقبون جماجمهم حَتَّى يومنا هذا لاقل علة. ذكر الدكتور بولونغ في كتابهِ عن الجبل الاسود انهُ يعرف اناسًا ثقب رأْس الواحد منهم ثماني مرات في حياتهِ ولم يصَب بمكروهٍ

وقد وجد في مدافن اوربا القديمة كثير من الجماجم المملوءة بعظام الاطفال. والظاهر انها عظام رجال كان اراملهنَّ يعلقنها في رقابهنَّ و يضعنَ فيها عظامًا من عظام اطفالهنَّ. وتعليق العظام في العنق كعوذ عادة لم تزل متبعةً في بعض جهات ايطاليا الى يومنا هذا

ومما يجب ذكرهُ في هذا المقام ان المدافن القديمة التي وجدت فيها الجماجم المثقوبة كان في كل مدفن منها حجر مثقوب او كان امامهُ حلقة من الحجارة مفتوحة من احدى جهاتها . والمرجح ان بين الحجر وثقب الرأْس علاقة وان كلًّا منهما باب تخرج منهُ الارواح الشريرة . وان القدماء كانوا يثقبون جماجم الاحياء المصابين بجنة ليخرج الشيطان من ادمغتهم حسب زعمهم . قال العلاَّمة بروكا في هذا المعنى ما خلاصتهُ "ان ثقب الجماجم كان يستعمل في الامراض المفاجئة بناء على الاعتقاد الشائع حينئذٍ وهو ان كل آفة عصبيَّة كالجنون والصرع والبلاهة لا بدَّ وان يكون سببها شيطان او روح خبيثة تسكن الانسان. ومَن يستطيع ان ينكر ان ثقب الرأْس لم يكن شائعًا عند الاقدمين لاخراج الشياطين اما ثقب رؤُوس الصغار والاطفال فاظن ان سببهُ تعيين الصغار لخدمة دينية فانهُ كان عند القدماء كهان مقامون للخدمة الدينيَّة ولا يبعد انهم كانوا يعينون ابناءهم لهذه الخدمة صغارًا فيثقبون رؤُوسهم لهذه الغاية . والخطر على الحياة من ثقب الراس ليس كثيرًا كما يظن اذا كان الانسان سليمًا واما اذا كان عليلاً فالخطر ليس من ثقب الرأْس نفسهِ بل من العلة التي فيهِ . هذا ناهيك عن ان الانسان يستسهل كل صعب قيامًا بمطالب ديانتهِ . وحَتَّى الآن نجد بعض متوحشي افريقيَّة يقطعون عضوًا من اعضائهم اكرامًا لمعبوداتهم فلا يبعد ان القدماء كانوا يقطعون جانبًا من جماجمهم لهذه الغاية

هذا ولا يخفى ان اللغة مستودع التصورات والتصديقات فيرى فيها الناقد البصير تاريخ

الامة التي تتكلمَ بها ولو قدُم عهدهُ وعفيت آثارهُ · وهي اذا كانت قديمة محفوظة كاللغة العربيَّة وجد الباحث في موادها ما يعجز عن وجودهِ في تواريخ الامة وعاديَّاتها . وشواهد ذلك كثيرة كما جاء في مقالات صديقنا الفاضل جرجي افندي يني الطرابلسي عن العرب قبل التاريخ . واذا طالعنا كتب اللغة رأينا فيها مادة قحَفَ بمعنى قطع قحف الرأس او كسرهُ وبمعنى شرب ما في الاناء او استخرج ما فيهِ والقاحف مستخرج ما في الاناء . والقحفُ اناء من خشب مثل قحف الراس · ومفاد ذلك ان العرب كانوا يقطعون قحف الراس وكانوا يصنعون اناء من خشب يشبه القحف يسمونهُ قحفًا ايضًا ومنهُ "البومَ قِحاف وغدًا نِقاف" اي اليوم شرب بالقحاف . ولا يبعد انهم كانوا يستعملون قحف الراس نفسهُ قدحًا يشربون بهِ ثم صاروا يصنعون القحاف من الخشب · ولعلَّ ابا الطيب المتنبي اشار الى ذلك حيث قال

كأَنَّ خيولنا كانت قديمًا تسقَّى في قحوفهم الحليبا
فمرَّت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم والتريبا

الأ ان ذلك لا ينافي ما اثبتهُ العلماء المشار اليهم آنفًا من ان بعض الشعوب كانوا يقحفون رؤُوس الاحياء لغاية طبيَّة او دينيَّة

* * *

ذَوق العجماوات وتديُّنها

قال بعضهم ان اعظم فارق بين الانسان والعجماوات هو قلة ادراك العجماوات لما في المصنوعات الجميلة من الجمال وكأَنَّ الاستاذ هكسلي يذهب هذا المذهب ايضًا كما يستنتج من بعض اقوالهِ ولكن الفيلسوف هربرت الجرماني وهو من اكبر فلاسفة العصر خالف ذلك وقال "انني لو سئلتُ عما اذا كان لنوع الانسان مميز عامٌ غير طبيعي لقلتُ انني لا اعلم بوجود هذا المميز ولا احسبهُ موجودًا " . ثم ذكر المميزات الطبيعيَّة التي يمتاز بها نوع الانسان كالنطق واستعمال اليدين وطول مدَّة الطفوليَّة وقال ان مزاياهُ العقليَّة تتوقف على هذه المميزات الطبيعيَّة

وظاهر الامر ان الانسان دون كثير من طوائف الحيوان في اكثر قواهُ الجسديَّة فهو دون الوحوش في قوتهِ البدنيَّة ودون ذوات الثدي في نمو اسنانهِ وارتقائها . وحاسة الشم فيهِ اضعف منها في الكلب وحاسة البصر اضعف منها في النسر وعنقهُ اضعف من عنق الغنم وقدمهُ اضعف من قدم الخيل

وقد ذهب البعض الى ان ضعف الانسان في طفوليتهِ يميزهُ عن كل انواع العجماوات

ثم ظهر ان من هذه العجماوات ما تكون اطفالهُ ضعيفة كاطفال الانسان حَتَّى ان الانواع المرتقية منها كبعض القرود تبقى اطفالها اشهرًا غير قادرة على المشي والسعي في طلب رزقها . فقد اصطاد المستر ولس العالم الطبيعي قردًا صغيرًا من نوع الاُرانغ اوتانغ بلغ من العمر ثلاثة اشهر قبلما استطاع المشي . وبعض القرود المنحطة تبلغ اشدها في السنة الثالثة او الرابعة من العمر ولكن القرود المرتقية التي هي اشبه بالانسان من غيرها لا تبلغ اشدها قبل السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها . ولو عاشرت هذه القرود الانسان الوفًا من السنين لارتقت اكثر من ارتقائها الحالي والشاهد على ذلك ان القرود التي ربَّاها الناس بضعة اشهر تكاد تعمل عمل الانسان فتخدم على المائدة كما يخدم الندُل وتفتح الباب اذا قرع جرسهُ وتسير بالزائرين الى غرفة الاستقبال وتستقي الماء وتضرم النار وتغسل الصحاف وتعمل اكثر الاعمال الَّتي يعملها الخادم في البيت حَتَّى قال بَرَمْ الطبيعي الشهير ”ان الانسان لا يستطيع ان يعاملها معاملة العجماوات بل يكرمها من تلقاء نفسهِ ويعاملها كما يعامل ابناء نوعهِ لانها تبدي من اعمال الانسان واوصافهِ ما يجعلنا ننسى حيوانيتها فان جسمها جسم وحش ولكن ادراكها كادراك انسان من عامة الناس . ولا يصحُّ ان ننسب اعمالها الى التقليد المجرَّد عن التعقل لانها تقلّد الانسان عن فهم وادراك كما يقلد الولد اباهُ“

ولا مشاحة في ان المدة التي تنمو فيها قوى القرود قصيرة جدًّا ثم تتوقف قواها عن الارتقاء وهذا يكاد يكون شان كثير من القبائل المتوحشة فان قواهم العقليَّة تتوقف عن النمو باكرًا بالنسبة الى قوى الشعب القوقاسي . وسرعة بلوغ الانسان تتوقف على صنفهِ وعلى عمرانهِ فالشعوب الَّتي بلغت الآن ارقى درجات العمران يتاخر بلوغ افرادها ولكن عقولهم تبقى قابلة للنمو سنين كثيرة حَتَّى لا يتعذر على البعض منهم ان يتعلموا لغات جديدة وعلومًا عويصة وهم في الستين والسبعين من عمرهم بخلاف غيرهم من الامم التي يقف افرادها عن الارتقاء العقلي قبل السنة الخمسين

وقد قيل ان يد الانسان هي الواسطة الكبرى في انماء ذوقهِ وتحسينهِ لان الاعمال الجميلة من صنع اليد الاَّ اننا نرى بعض العجماوات يسرُّ برؤْية الالوان الجميلة وسماع الاصوات الرخيمة وان ذوقها من هذا القبيل يمكن مقابلتهُ بذوق المتوحشين من الناس وقد كان لهُ شأن كبير في اختلاف صنوفها وانواعها كما هو مشاهد في الطيور فانها تتنافس بتزويق الوانها وبديع الحانها واجملها لونها وارخمها لحنًا يتغلب على غيرهِ في سوق الحب وميدان الغرام ولا شبهة في ان الطيور تسرُّ ببرقشة الوانها وكلما زادت الوانها بهاء زادت هي عجبًا

وكبرًا كما ترى في الديك والطاووس وطير الجنة . قال المستر غُلْد في كتابهِ عن طيور استراليا ان طائرًا منها يبني قبة امام عشهِ من العيدان والاغصان الدقيقة وينسجها نسجًا ثم يزينها بالريش الملوّن من اذناب الطيور المزوقة ورقابها والاصداف الملوّنة والخرق وما اشبه من المواد ذات الالوان البديعة وقد يبسط امامها ما يملأ سلّة كبيرة من هذهِ التحف ويمشي بينها متبخترًا يميس عجبًا ودلالاً . وكثيرًا ما يجلب هذهِ المواد من اماكن بعيدة جدًّا ولا فائدة لهُ منها ولا غرض لهُ بها سوى المباهاة وحب الجمال . ولا يمكن تعليل بنائهِ لهذهِ القبة بغير ذلك لانها ليست عشهُ الذي يحضن فيهِ بيضهُ بل هي بمثابة غرفة الاستقبال التي يستقبل بها اصدقاءهُ ويقيم فيها اوقات السرور والطرب

ولتغريد الطيور المقام الاول في تحبيب ذكورها باناثها او ما يسمى عند العلماء بالانتخاب النوعي . وبعض الطيور يتعلم تغريد طيور اخرى من غير نوعهِ بل قد يتعلّم بعض الالحان من الآلات الموسيقية مثال ذلك طائر الكنار فانهُ يتعلم الحانًا كثيرة من البيانو وغيرهِ من آلات الطرب

وانواع كثيرة من القرود تجتمع في حراجها وتعزف عرفًا موسيقيًا تبتهج بهِ اشدَّ الابتهاج . والكلاب تميز الاصوات الموسيقية وتبتهج ببعضها وتستاء من البعض الآخر

والحشرات ترى الالوان وتفضّل بعضها على بعض . وعلى ذلك يتوقف تلقيح النبات بواسطتها ففيها مبدأُ الذوق ومحبة الجمال . واما الاشجار التي تتلقح بواسطة الهواء فليس لازهارها الوان جميلة كالتي تتلقح بواسطة الحشرات اي ان الطبيعة تكِلُ زواج بناتها الشنيعات الى الهواء واما الجميلات فتعدُّ لهنَّ موكبًا بديعًا من كل ذات جناح

وقد انكر البعض قوة تمييز الالوان على الحشرات بل على بعض الناس ايضًا . وزعم ان الاشوريين القدماء لم يكونوا يميزون بين اللون الاخضر والازرق والاصفر . ولكنَّ قطع الاجر التي وجدت في آثارهم مصبغة بهذه الالوان تدلُّ دلالةً واضحة على انهم كانوا يفرقون بينها . ومن هذا القبيل ما قيل من ان العرب لم يكونوا يميزون بين الاخضر والازرق بدليل تسميتهم السماء بالقبة الخضراء فان لون السماء لا يندر ان يكون اخضر او ضاربًا الى الخضرة

هذا من قبيل الذوق اما التدين فاثباتهُ للحيوان الاعجم اصعب من اثبات الذوق لهُ ولكن بعض العلماء الاعلام الذين يوثق بهم ويعتمد على اقوالهم مثل ده كاترفاج وكمت وداروين وسبنسر ورومانس متفق على وجود قوّة التدين في الحيوان الاعجم . قال ده كاترفاج "ان الحيوانات الاهليَّة متدينة لانها تطيع الذين يقابلونها بالسوط او بالسكَّر" اي انها تخضع

خوفًا من العقاب او طمعًا بالثواب وتطيع الانسان الذي هو ارقى منها وتترضاهُ وتتزلف اليهِ والكلب منها يتمرَّغ بين قدميهِ خوفًا من عقابهِ او طمعًا بثوابهِ . وقال ايضًا ” لا فرق بين الزنجي الذي يعبد احد الضواري وبين الكلب الذي يترامى على قدمي صاحبهِ بطلب العفو عن ذنب اقترفهُ . . . والحيوان الاهلي يلوذ بالانسان كما يلوذ الانسان بمعبودهِ “

والمتوحش ينظر الى المتمدن نظرهُ الى معبودهِ وينظر الى رئيسهِ هذا النظر ايضًا . وما لنا ولابعاد الشواهد فان اسلافنا كلهم من مصريين ورومانيين واشوريين الهوا ملوكهم وهم في اوج مجدهم ومنتهى عمرانهم ونحن لم نزل حتَّى يومنا هذا نجثو على ركبنا امام ملوكنا ونخاطبهم بعبارات التبجيل والتمجيد على اسلوب يقرب من اسلوب اسلافنا في عبادة ملوكهم

وقال الشهير دارون ان العبادة الدينيَّة فعل مركب من المحبة والخضوع التام لكائن عظيم والشعور بالاحتياج اليهِ والخوف منهُ والرهبة والشكر والرجاء . فلا يستطيع المخلوق ذلك الَّا اذا كان قد ارتقى عقلاً وادبًا ارتقاء كافيًا ومع ذلك نرى في محبة الكلب لصاحبهِ وخضوعهِ التام لهُ ورهبتهِ منهُ ما يقرب من العبادة

وذكر الفيلسوف هربرت سبنسر ما يدلُّ على وجود اصل العبادة في العجماوات قال ان كلبًا كبيرًا أُعطي عصًا ليلعب بها فاتفق انهُ قبض عليها بفمهِ من احد طرفيها فوقع الطرف الآخر بثقلهِ وارتفع الطرف الذي في فمهِ وضغط على حلقهِ ضغطًا شديدًا فاذاهُ فهرَّ ورمى العصا من فمهِ وابتعد عنها مذعورًا ولم يجسر على الدنو منها بعد ذلك الَّا بالحذر الشديد . قال سبنسر والامر ظاهر ان هذا الكلب لم يخف من العصا قبلاً لانهُ لم يرَ فيها شيئًا غير ما الِفهُ من امرها فلما رأى منها شيئًا لم يأْلفهُ وهو ايلامها حلقهُ حسب ان لها مقدرة على الالم فخاف منها . وهذا شان الانسان وهو في حال الفطرة فانهُ قلما كان يعلم من امر الجمادات وعلل الافعال الطبيعيَّة اكثر مما يعلم الكلب من امرها فلما رأى منها افعالاً لم يعهدها فيها خاف منها وحسب انها قادرة على العمل ولكنها لا تعمل الَّا حينما تشاء فتفاجئهُ بالاذى مفاجأةً على غير انتظار “

وفعْل الكلب هذا شبيه بفعل الزنجي الذي رأى بندقيَّة تطلق النار فخافها وسجد لها وبفعل اكثر المتوحشين الذين يخافون ويعبدون كل ما يتوهمون ان فيهِ روحًا او انهُ قادر على نفعهم وضرّهم . ويزيد ترفعهم عن هذهِ العبادة بزيادة عمرانهم وارتقائهم عقلاً وادبًا

وذكر الاستاذ رومانس انهُ كان عندهُ كلب نبيه جدًّا وكان معتادًا ان يلعب بالعظام يرميها من مكان الى آخر ويلتقطها ثم يرميها ويسلي نفسهُ على هذه الصورة . قال ولما رأيت

منهُ ذلك ربطت عظمًا من تلك العظام بخيط دقيق جدًا حتَّى اذا رمى الكلب بالعظم الى مكان بعيد واسرع اليهِ ليلتقطهُ مسكت الخيط من طرفهِ وجررت العظم بهِ قليلاً قليلاً فلما رأى العظم يتحرَّك من نفسهِ وقف مبهوتًا لانهُ كان يحسب العظم جامدًا لا حراك بهِ فاذا هو يتحرَّك كالاحياء . ثم جعل يدنو منهُ رويدًا رويدًا وبقيت انا اجرُّهُ امامهُ فلما تاكد ان العظم سائرٌ امامهُ من تلقاء نفسهِ لا من رميهِ لهُ اولاً تحوَّلت دهشتهُ الى خوف وهرب واختفى بين اثاث البيت وجعل يراقب العظم عن بعد وهو يرتجف خوفًا" اي ان هذا الكلب الصغير راقب فحكم فتصوَّر فخاف فارتعد والخلاصة انهُ ظهرت فيهِ جراثيم الرهبة والتعبُّد

وبعض العجماوات يخاف من الظلمة كما يخاف منها الاولاد الصغار ويخاف من البرق والرعد كما يخاف منهما بعض الناس . وقد ثبت بالامتحان ان الخيل التي تخاف من الرعد لا تعود تخاف منهُ اذا أُتي بها الى قرب المدافع وشاهدتها وهي تطلق كأنها ترى حينئذٍ سبب الصوت فتظن سبب صوت الرعد مثل سبب صوت المدافع وكأنها تحسب انهُ متى ظهر السبب بطل العجب . ومن قبيل ذلك ما ذكرهُ الاستاذ رومانس وهو ان كلبًا سمع عدولاً تفرَّغ على الارض فيكون لتفريغها صوت كهزيم الرعد فخاف وارتعدت فرائصهُ ثم دخل الغرفة التي كانت العدول تفرَّغ فيها فلما رآها لم يعد يخاف من صوتها

ويزعم البعض ان العجماوات ترى الارواح والحوادث المقبلة قبل حدوثها ولهم ادلة وشواهد كثيرة على ذلك ولكننا لا نراها قرينة الصحة كما اننا لا نحسب ان رهبة العجماوات وخوفها من العقاب ورغبتها في الثواب يمكن ان يقابل بالشعور الديني الذي في الانسان . ومذهب اكثر رجال الدين من الطوائف المسيحيَّة على ان الشعور الديني الذي فينا هو امرٌ خاصٌّ بنوع الانسان لا يشاركهُ الحيوان فيهِ . وانهُ قد تمازجهُ الرهبة والرغبة كما تكتسي الجواهر التراب فتلتبس بالحصى ولكن ذلك لا يخرجها عن جوهرها ولا يجعل العرض جوهرًا . الاَّ ان اكثر الاديان الاخرى يشرك العجماوات في التدين ويثبت انها تخشَ الله وتعبدهُ كما يخشاهُ الانسان ويعبدهُ . وهنا يقف العلم الطبيعي لانهُ لا يستطيع ان يثبت هذا الامر اثباتًا خاليًا من كل ريب ولا ان ينقضهُ نقضًا تامًّا

ولولا الاختلاف بين العلماء في اصل الانواع لسهُل على كل احد نسبة الذوق والتديُّن الى العجماوات ولكن العلماء الطبيعيين الذين يثبتونهما للعجماوات يتخذون ذلك دليلاً على ثبوت مذهب النشوء فيعارضهم الذين يقولون بالخلق المستقل وينفونهما عن العجماوات ويعللون ما يبدو منها بعلل اخرى

النارجيل او جوز الهند

نقل ابن البيطار عن ابي حنيفة ان النارجيل "نخلة طويلة تميل ثمرتها حتّى تدنيها من الارض ليناً ولها اقناءٌ يكون في القنو الكريم منها ثلاثون نارجيلة ولها لبن يسمى الاطواق واذا اراد احد اخذ لبنها ارتقى الى ذروتها ومعهُ كيزان فينظر الى الطلعة من طلعها قبل ان تنشق فيبضع طرفها مع قبض الوليع ثم يلقمها كوزاً من الكيزان ويعلق الكوز بالعرجون ويفعل كذلك بالطلعة الاخرى ثم ينزل فلا يزال لبنها يقطر في الكيزان قطر الشمعة حتّى اذا كان بالعشي صعد الى الكيزان فانزلها وقد تحصل منهُ ارطال ثم يشرب ذلك اللبن من ساعتهِ وهو حلو طيب غليظ القوام كلبن الضان وان شرب بالشراب اسكر معتدلاً "

وقال ابن بطوطة " النارجيل من اغرب الاشجار شأناً واعجبها امراً وشجرتهُ شبه شجر النخل لافرق بينهما الّا ان هذه تثمر جوزاً وتلك تثمر تمراً. وجوزها يشبه رأس ابن آدم لان فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون منهُ حبالاً يخيطون بها المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منهُ الحبال للمراكب. والجوزة منها وخصوصاً التي بجزائر ذيبة ابهل تكون بمقدار رأس الآدمي ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمَن والزيادة في حمرة الوجه ففعلهُ فيها عجيب. ومن عجائبهِ انهُ يكون في ابتداء امرهِ اخضر فمن قطع بالسكين قطعة من قشرهِ وفتح رأس الجوزة شرب منها ماءً في النهاية من الحلاوة والبرودة "

ولم نرَ لغيرهما من كتّاب العرب كلاماً في هذا الموضوع اوفى من هذا. اما كتّاب الافرنج فافردوا للنارجيل فصولاً طويلة وبحثوا فيهِ من وجوه شتى علميّة وصناعيّة وتجاريّة. وهاك خلاصة ما كتبوهُ في هذا الشأن

النارجيل من اكثر الاشجار نفعاً للانسان ان لم يكن انفعها كلها حتّى قال المثل الصيني ان منافعهُ بقدر ايام السنة عدّاً. وقال سكان جزائر البحر ان الذي يزرع نارجيلة يستغلُّ منها لحماً ولبناً وبيتاً وثوباً واناءً وخيراً دائماً لهُ ولاولادهِ من بعدهِ. فان الجوز نفسهُ طعام كافٍ لالوف والوف الوف من البشر لا يقتاتون بغيرهِ ولبنهُ شراب لهم والشجرة نفسها تمتص المياه من ارضهم ولولاها لصارت سباخاً وبطائح كثيرة الحميّات والامراض الاجميّة واذا بضعت الطلعة من طلعها اي الغصن الذي تظهر عليهِ الازهار قطر منها عصار حلو يُغلى فيكون منهُ سكّراً او يخمّر فيكون منهُ شراب مسكر وهو العرق الاصلي وقد يمزج

بالحشائش المرة فتكون منهُ جعة كالبيرا الاوربيَّة . ويعصر من الجوز نفسهِ دهن يؤْكل كالزبدة ويطبخ بهِ كالزيت . ويجلبهُ الاوربيون الى بلادهم ويصنعون منهُ شمعاً وصابوناً وغليسريناً . وليفها تصنع منهُ الحبال والمكانس وماسح الرجلين التي توضع امام الابواب وتحشى بهِ الوسائد بدل شعر الخيل . وقشر الجوز تصنع منهُ الآنية المختلفة . وسعفهُ تسقف بهِ البيوت ويصنع منهُ نوع من الورق كما يصنع من البردي وقد كتب عليهِ اشهر كتب البوذيين . ويصنع من جريدهِ روافد ومساميك ومن الليف المحيط باصل السعف مصافي وقلانس وفي الجذع خشب جيد يصنع منهُ النجارون كثيراً من الامتعة . هذا قليل من كثير من فوائد هذهِ الشجرة . ومنظرها بهيج كما ترى في هذا الشكل

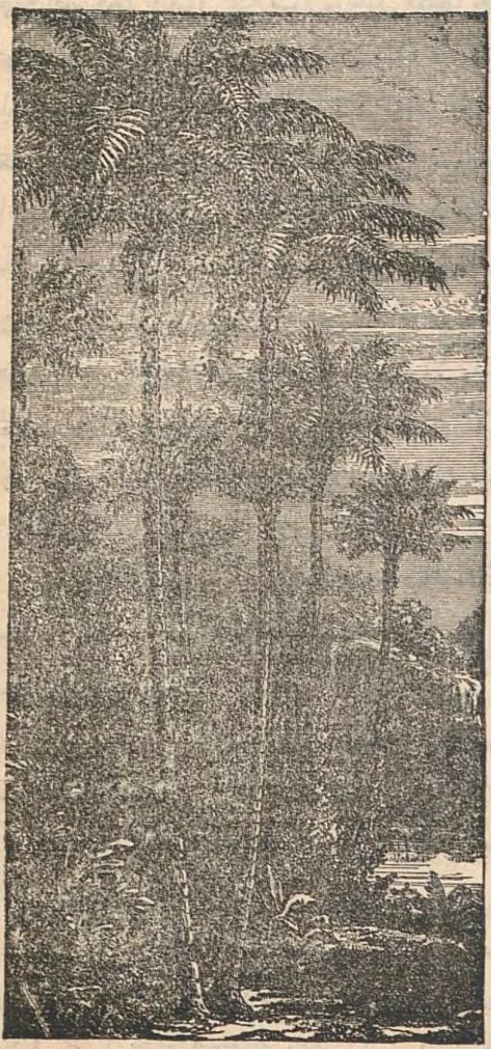

اما لبن الجوز الذي يرد الينا فلا نستطيبهُ كما لو شربناهُ في وطنهِ قبل ان تمضي عليهِ الايام الطوال وتفسد طعمهُ فاذا أردت ان تشرب هذا اللبن وتستطيبهُ فأَقِم في بلد بقرب خط الاستواء وادعُ السقاء في الظهيرة عند اشتداد الهجير فيأْتيك بكأْس من البلور مملوءة بشراب صافٍ كالزلال وفيها قطعة ثلج ترفع رأْسها تارةً وتخفضهُ اخرى او تقرع جوانب الكأْس فترن بصوتها الشجي فخذ الكأْس من يدهِ واشرب ماء زلالاً وسحراً حلالاً لا يشبههُ سواهُ ولا يعدلهُ الاَّهُ

ابن الحميَّا وابن السلسبيل فذا   من صنعة الله لا من صنعةِ البشرِ

واذا اراد القارئ ان يعلم فائدة هذا اللبن وسبب تجمعهِ في باطن جوز الهند فليترك ابن البطار وابن بطوطة وغيرهما من كتَّابنا وليطالع ما نلخصهُ لهُ عن العلامة غرانت الن الطبيعي الانكليزي وهو

اذا قطفت جوزة الهند خضراء قبل ان تنضج جيدًا وقطعت قشرتها الظاهرة بسكين حيث تظهر فيها العيون الثلاث (و يسهل قطعها حينئذٍ لانها تكون لينة وهي خضراء) ظهر انها مملوءة بهذا اللبن او الماء وتكون مادة الجوزة حينئذٍ لينة كالزبدة حتَّى يمكن قحفها بملعقة واكلها بها . ويحيط بمادة الجوزة قشرة خشبيَّة صلبة ويحيط بالقشرة الياف كثيرة منضدة بعضها فوق بعض وبالالياف قشرة خضراء . ومادة الجوزة هي راسب من اللبن الذي في باطنها وذلك غير قاصر على جوز الهند بل اكثر الحبوب يكون مملوءًا بلبن او بمادة سائلة قبلما يبلغ جيدًا كما يرى في حبوب الحنطة واللوبياء والجوز ولكنَّ جوز الهند يفرق عنها في ان هذا اللبن او الماء لا يزول منهُ حينما ينضج بل يبقى فيهِ وهنا محل البحث ومجال النظر فان جوز الهند لم يخالف غيرهُ من انواع النبات الاَّ ولهُ من ذلك منفعة خاصة بهِ واما ما يزعمهُ البعض من انهُ يجمع هذا الماء ويحفظهُ ليتنعَّم بهِ الانسان فمردود بان الجوز يفعل ذلك في الجزائر التي لم تطأها قدم انسان وكان يفعل ذلك قبل ان وجد الانسان على هذه البسيطة بالوف والوف الوف من السنين

وغاية النارجيل من جوزهِ مثل غاية سائر الاشجار من اثمارها اي حفظ نوعها وتكثير نسلها وهي تستخدم من الوسائط لذلك ما يكلُّ القلم عن وصفهِ وقد تدرَّجت الى استخدامها مدة الوف من السنين

واذا امعن الانسان نظرهُ في جوزة الهند رأى في رأسها الدقيق ثلاث اعين اثنتان منها صلبتان وواحدة لينة وفيها هنة صغيرة كحبة العدس او اكبر وهي الجرثومة التي تفرخ وتصير شجرة . والجوزة كلها خُلقت لتغذية هذه الجرثومة . ولكن ما يغذي النبات يغذي الحيوان ايضًا ولذلك يخشى على الجوزة ان يصل اليها حيوان يلتهمها فيذهب تعب شجرة النارجيل عبثًا ولذلك احيطت هذهِ الجوزة بقشرة صلبة جدًّا تقيها شرَّ الحيوان وكان ذلك قبل ان وجد الانسان الذي لا يمنعهُ مانع عن اغتنام ما لهُ فيهِ مطمع . ثم ان شجر النارجيل يطول كثيرًا فيبلغ ارتفاعهُ مئة قدم او حواليها فاذا سقطت الجوزة من هذا الارتفاع الشاهق انكسرت حتمًا فلا يبقى لقشرها الصلب فائدة ولذلك غلّفت بغلاف من الليف اللدن حتَّى اذا سقطت ازال الليف قوة السقطة بلدونتهِ فتصل الجوزة الى الارض سالمة

وتأْخذ الجرثومة في النمو . ولكن الحبوب والاثمار المختلفة لا تنمو الاَّ اذا كان في الارض ماءٌ تستعين بهِ على اذابة الغذاء وامتصاصهِ وقد تقدَّم ان الجوزة محاطة بقشرة صلبة تمنع دخول الماء اليها ولذلك وُجد فيها هذا الماء ليقوم مقام الماء الذي يتعذر عليها امتصاصهُ من الارض . هذه فائدة الماء الذي في جوز الهند

فاذا حان وقت نمو الجرثومة كبرت رويدًا رويدًا وامتصَّت الماء والغذاء المحيط بهِ حَتَّى تملأَ الجوزة كلها وحينئذٍ ينبت طرفها الآخر من العين المشار اليها ويخرج خارج الجوزة غير خائف من الحر والقيظ لان لهُ ذخرًا عظيمًا داخل الجوزة حَتَّى اذا ظهرت اوراقهُ وصار قادرًا على الاستعانة بنور الشمس وحرارتها وعلى النمو شقت جذورهُ الجوزة وغارت في الارض تطلب الغذاء

رأينا مما تقدَّم فائدة العين اللينة التي سماها ابن بطوطة فمًا فما فائدة العينين الآخريين الصلبتين . والجواب انهما ككثير من الاعضاء الاثرية في الانسان والحيوان وككثير من العادات الَّتي ورثناها عن اسلافنا ولا فائدة لها سوى الدلالة عليهم فان النارجيل متولد من نباتات ثلاثيَّة الازهار والاثمار كالزنبق والنخيل ونحوها . ففي زهرة الزنبق ثلاث اوراق (بتلات) وثلاث اسدية طويلة خارجة وثلاث اسدية قصيرة باطنة وثلاث بزور في ثلاث غرف او ثلاثة صفوف من البزور . وكثير من صنوف النخل لم تزل اثمارهُ ثلاثيَّة ايضًا . والغرض من تعدُّد الاثمار التأْمين على حفظ النوع حَتَّى اذا عرض لها عارض سلِم بعضها . ولكنَّ الاثمار تتنازع ويتغلب بعضها على بعض ويميتهُ ولذلك ترى قليلاً من اللوز بقلبين واكثرهُ بقلب واحد مع ان اللوز كان كلهُ اصلاً بقلبين . والظاهر ان كل جوزة من جوز النارجيل كانت قبلاً مؤَلفة من ثلاث جوزات فانضمت معًا وصارت جوزة واحدة وزالت جرثومتان من جرثوماتها الثلاث وبقي اثرهما في هاتين العينين . ولبقاء هذين الاثرين فائدة لا تنكر لانهُ اذا وقعت الجوزة في يد قرد فالراجح انهُ لا يعثر بالعين اللينة مرَّة حَتَّى يعثر بالصلبة مرتين فاذا عثر بالصلبة سقط في يدهِ وطرح الجوزة ولم يضرَّ بها واذا كان فيها عين واحدة لم تسلم منهُ جوزة

ولكن اذا سلم جوز الهند من القرود فقد لا يسلم من سواها فان لهُ كثيرًا من الاعداء ولاسيما نوعًا من السرطان غريب الشكل يعيش على جوز الهند والظاهر ان الجوز بلغ حدَّهُ من الارتقاء قبل ان اصابهُ هذا العدو الالد فلم يعد في وسعهِ التحفُّظ منهُ . ولهذا السرطان مخلبان كبيران متينان وذنب دقيق كالملقط فاذا اصاب جوزة وقعت على الارض اقبل

بمخلبيهِ ونزع ليفها عنها حتَّى اذا بلغ العين اللينة خرقها واولاها ظهرهُ وغمد ذنبهُ فيها وجعل يستخرج مادتها و ياكلها ولم يزل دئبًا حتَّى تفرغ كلها ثم يجمع الليف الذي نزعهُ عنها و يبطن بهِ جحرهُ وفي نيتهِ ان يقيم فيهِ آمنًا طوارق الزمان و بوائق الايام ولا يدري ان الانسان لهُ بالمرصاد فيصطادهُ من جحرهِ و يغتذي بلحمهِ ويذيب دهنهُ و يأخذ الالياف التي جمعها غنيمة باردة . والجوز يصنع هذا الدهن لتغذية فرخهِ فيختلسهُ السرطان منهُ غيلةً و يختلسهُ الوطنيون من السرطان فيأتيهم تجار الاوربيين و يأخذونهُ منهم و يعوضونهم عنهُ قطعًا من النسيج الواهي او شرابًا من المسكرات السامة و يمضون بهِ الى بلادهم وهناك مجمع المنافع وملتقى التجار

واذا سلمت الجوزة من القرد والسرطان والانسان ووقعت على شاطىء البحر نمت على الاسلوب الذي شرحناهُ وصارت شجرة كبيرة ولكنها اذا وقعت في البحر نفسهِ وذلك غير نادر طفت على وجهِ الماء لخفة ليفها ولبثت هناك تتقاذفها الامواج الى ان تقع على جزيرة قفراء او على حلقة من حلقات المرجان فتنمو عليها وتكسوها خضرة ولولا صلابة قشرتها وخفة ليفها ما انتشر النارجيل في اقطار المسكونة شرقًا وغربًا كما هو منتشر الآن

ثم ان شجر النارجيل لا يطول بسرعة بل يكون في اول امرهِ صغيرًا منتشرًا كالنخل ولا يظهر جذعهُ الَّا في السنة الثالثة و يطول بعد ذلك بسرعة . ويزهر في السنة الثامنة او العاشرة وازهارهُ صغيرة فيها اخضرار تلقحها الرياح اللواقح بحمل اللقاح من زهرة الى اخرى و يكبر الجوز حتَّى تبلغ الجوزة بقشرها البطيخة الكبيرة

والشجرة تحمل كل سنة عشرة قنوان الى اثني عشر قنوًا وفي القنو منها من خمس جوزات الى خمس عشرة جوزة فمتوسط ما تحملهُ الشجرة الكبيرة مئة وعشرون جوزة . والذين تنبت هذه الشجرة في بلادهم تغنيهم من الكدح والكسب فيأكلون ثمرها و يشربون لبنها و يستظلون في النهار بظلها و ينامون في الليل في بيوت مصنوعة من سعفها وخشبها و يصنعون آنيتهم من جوزها و يبدلون بعضهُ بالمنسوجات الاوربيَّة و يكتسون بها ولولاها لكانوا ادأب على العمل واحرص على الكسب

باب الصحة والعلاج

الوراثة المرضيَّة

كل حيّ بحكم ناموس في الطبيعة عام هو الوراثة يرث من جميع الصفات الطبيعيَّة والادبيَّة والاميال العقلية والحالات المرضية التي لابويهِ ظاهرة فيهما كانت ام كامنة مكتسبة ام خلقية . ويراد بالوراثة المرضية لا المرض نفسهُ بل الاستعداد لهُ او القابلية التي في البدن المكتسبة منذ العلوق للوقوع في المرض بحسب ما يناسب من الاسنان ويساعد من الاسباب . ولذلك كان لعلم حفظ الصحة شأن عظيم في مقاومة الامراض الوراثية اذ يشترط في كل مرض وراثي امران احدهما استعداد في البدن والثاني موافقة الاسباب الخارجية لتنبيه هذا الاستعداد وهذا في امكان علم حفظ الصحة مداركتهُ . وزد على ذلك ان في البدن من اصل الفطرة قوة مصلحة لاختلالهِ تحافظ على نظامهِ وتميل الى اصلاحهِ كلما اختل ولذلك كان لافعال الوراثة حدود ولولا ذلك لمرض جميع المولودين من آباء بهم علل وراثية وما نراهُ فبالضد فكثيرًا ما لا تنقل العلة من آباء مسلولين الاَّ الى ابناء معدودين وينجو الباقون

وانتقال العلل الوراثية لا ضابط لهُ بل يكون على انحاء شتى فقد تنقل من الابوين الى البنين رأسًا او من الاجداد الى الاحفاد وتترك الآباء او تنتقل الى اقارب بعيدين ايضًا وقد تعرض لاحد الجنسين وتترك الجنس الآخر فقد ذكران أُمًّا توفيت بداء السرطان فعرض لبناتها الثلاث واما الصبيان فلم يعرض لهم . ونحن نعرف عائلة مسلولة عرض الداء لاربعة من ذكورها واما البنات فلم يصبنَ بهِ . وانتقال الداء اليهم لم يكن من الابوين رأسًا بل من الاعمام لان الابوين نفسهما عمرا طويلاً وماتا بغير هذا الداء

وتمتاز الامراض الوراثية بانهُ لا نسبة بين شدتها والاسباب المتممة لها وبانها سهلة الانتكاس وتظهر غالبًا في نفس الوقت الذي ظهرت فيهِ في الاقارب وتصيب نفس الاعضاء التي اصابتها فيهم . وبينها وبين الاسنان نسبة فكل سنٍّ يحدث في البدن تغيرات تجعلهُ اصلح لظهور هذا المرض المتهيء لهُ ام ذاك بل يجعل ايضًا هذا العضو اصلح لظهور المرض من سواهُ من الاعضاء . ولا نعلم اسباب ذلك ولعلها تبقى سرًّا مغلقًا زمانًا طويلاً ولهذا كان بعض الامراض الوراثيَّة يظهر منذ الطفوليَّة وبعضها يكمن في البدن ولا يظهر البتة لفقد

الاسباب المتممة لظهورهِ خارجيّة كانت ام داخليّة . و يندر جدًّا ان العلة الموروثة تظهر منذ الولادة والغالب ان تكون في المولود بالقوة فقط . مثال ذلك الزهري فان الوارث لهُ من المولودين حديثًا لا يكون بهِ اعراض الزهري الخاصة وانما يكون ضعيفًا ذابلاً مستعدًّا لعلة علل مفسدة للتغذية . والمولودون من آباء مسلولين قلما يعرض السل لهم في طفوليتهم في رئتهم والغالب انهم يصابون بهِ حينئذٍ في سحاياهم اعني اغشية دماغهم لامتلاء دماغهم واغشيتهِ بالدم في هذا السن ولهذا السبب عينهِ كان يكثر فيهم ايضًا العقد الخنازيريّة وتدرُّن العقد المساريقيّة . واما السرطان فيغلب بين سن اربعين وستين سنة . وكل مرض موروث اذا تجاوز السن الذي يظهر فيهِ ولم يظهر فقد قل خطر ظهورهِ لذلك اذا جاوز وارث السل سن ٣٦ سنة ولم يظهر الداء بهِ فليأمل ان يعيش و يصير شيخًا هرمًا . وتدرُّن الغدد المساريقيّة لا يكون وحدهُ البتة بعد سن سنتين

ولمقاومة هذا الاستعداد الوراثي ينبغي مراعاة جملة شروط تنحصر اكثرها في الزواج والرضاع والقوانين الصحيّة العموميّة . اما الزواج فشرطهُ في البشر ان لا يجمع فيهِ بين الاقارب الاَّ في ما ندر وما ذلك لان الجمع مضر بحد نفسهِ كلاَّ بل بالضد من ذلك اذا روعيت فيهِ شروط خصوصيّة فقد ينفع كما هو معلوم من الجمع بين الاصول المتقاربة من الحيوان فالخيل العربيّة الخالصة من كل شائبة غريبة ليس افضل منها في جمالها وصحة ابدانها وما ذلك الاَّ لانهم لا يجمعون بينها الاَّ بعد ان ينتقوا الجياد منها و بذلك يحفظون اصلها على جمالهِ و يزيدون في تحسينهِ ايضًا وعلى ذلك جرى كثيرون من اصحاب المواشي فربوا فروعًا حيوانيّة جديدة حسنة بالانتخاب والمحافظة على الجمع بين الجياد منها ولكن ذلك قلما يراعى بين البشر فلا يراعون في الزواج بين الاقارب الصفات الصحيّة الطبيعيّة بل اوجه المناسبة من حيث الثروة او ما شاكل . فاذا كان في العائلة داء عضال تجسم فيها حَتَّى يأتي اخيرًا على قرضها ولذلك كان اصطلاح الهيئة الاجتماعيّة على تحريم الزواج في درجات من القربى معلومة امرًا حميدًا جدًّا ويجب تبعيد ذلك اكثر جدًّا في اصحاب الامراض الوراثيّة لاضاعة امراضهم واكتساب قوى جديدة صحيحة باقترانهم باباعد اصحاء

و ينبغي اعتبار نسبة القد بين الزوجين فان اختلاف هذه النسبة كثيرًا ما يؤدي الى الاسقاط . وفي اعتبار عيوب الحوض لا ينبغي الاقتصار على معرفة قد المرأة فقط بل ينبغي اعتبار حجم راس الرجل ومنكبيهِ لان الوراثة تنقل ايضًا صفات كل عضو من اعضائهِ خصوصًا . لذلك اذا لم تعتبر هذه النسبة زاد الاسقاط في الحمل او العوارض في الولادة

و ينبغي كذلك اعتبار السن في الزوجين لان ذلك يؤثر جدًّا في صحة الاولاد فان كانا حديثي السن كثيرًا كان نسلهما ضعيفًا وسهّل ذلك ظهور الامراض الوراثيَّة فيهِ في المستقبل فقد رأوا ان البكر من الاولاد يكون غالبًا اضعف في بنيتهِ وعرف المعلمون ان الاصغر يكون غالبًا انبه في عقلهِ . وان كانا متقدمين في السن جدًّا كثر تعرُّض الاولاد لداء رخاوة العظام وكانوا عديمي النشاط والانبساط اللذين هما من خصائص الطفوليَّة ومات اكثرهم بالسل وان لم يكن الداء بأبويهم ومن ينجو منهم فلا ينمو كما ينبغي ولا يسلم من عذاب علل البواسير

و ينبغي ايضًا اعتبار الامزجة والمضادة بينها لكي يقاوم المزاج الصحيح المزاج العليل والتخلص بذلك من تمكن الامراض الوراثيَّة فيمنع الزواج بين اثنين معرضين للخنازيري او الامراض الصدريَّة او للسرطان او لمرض من الامراض العصبيَّة . والامراض العصبيَّة قلما كانت تعتبر في الماضي لقلة معرفتهم لطبيعتها واما الآن فقد عرفت هذه الامراض جيدًا وصار اعتبارها من هذا القبيل واجبًا جدًّا لان هذه الامراض تظهر على اشكال مختلفة فقد تكون في الآباء صداعًا بسيطًا وتظهر في الاولاد على شكل صرع او هستيريا او جنون ولذلك كان ينبغي المخالفة في الجمع بين الامزجة ما امكن من حيث الصحة والمرض فان ذلك كثيرًا ما تزول بهِ الاستعدادات المرضية بخلاف المقارنة بينها فان الجمع بين زوجين احدهما معرض للخنازيري والآخر للسل تكون نتيجتهُ شرًّا على الاولاد وعلى الهيئة الاجتماعيَّة حال كون اقتران ابنةٍ من عائلة بها السل برجل قوي البنية صحيحها قد يجعلها تلد اولادًا اصحاء ان تزوجوا باخرين من دم صحيح خلفوا نسلاً لا عيب فيهِ واضاعوا استعداد أمهم الموروث

فان لم تعتبر هذه الشروط في الزواج ووقع المحذور فما علينا الاَّ السعي لاصلاح امزجة الاولاد بالتدبير الصحي قبل ان يتمكن الاستعداد الوراثيّ منهم فيمنع ارضاع الاطفال من امهاتهم و يسلمون الى ظئر (مرضع) قويَّة البنية صحيحة الدم و يطال زمان ارضاعهم . و بعد الفطام ينتبه جدًّا لاصلاح امزجتهم بالوسائل المناسبة من غذاء وهواء واقليم بحسب طبيعة المزاج المتغلب عليهم ولا ريب في ان الرياضة المعروفة بالجمناز من افضل الوسائل الَّتي تتقوى بها البنية وتتنقى من ادران الداء ولذلك ينبغي ادخال هذا الفن الى المدارس وما احرى مدارس الشرق بالانتباه اليهِ . والتعليم نفسهُ يساعد جدًّا على اصلاح الصحة اذ يجعل الانسان اقدر على استحصال ما ينفعهُ ودفع ما يضرُّهُ فعلى الآباء ان لا يبخلوا على اولادهم بتهذيبهم ودفعهم الى معلمين عارفين باصول التعليم لا يضعون الندى في موضع السيف ولا السيف في موضع الندى و يراعون قابليات الاولاد فلا يحثون من يستحق الحث منهم بالتقريع

حيث يكفي التنشيط ولا بالتنشيط حيث يلزم التفريع فان هذهِ مسألة عظيمة الاهمية فكم من العقول الذكيَّة تحترق في المدارس بسوء تصرف المعلمين . وان لا يبخلوا عليهم بتسليمهم الى مدارس مستوفية قوانين الصحة حيث تراعى صحة الاولاد من جهة الغذاء والهواء والرياضة لكي تصطلح صحة الاعلاء لا لكي تعل صحة الاصحاء وهذا امر شديد الاهمية ولعل مدارسنا في الشرق تنتبه لذلك حق الانتباه وتزيد في اصلاحهِ سنة فسنة رحمة بهؤلاء الاطفال الذين يتوقف على صحة ابدانهم وصحة عقولهم مستقبلهم ومستقبل بلادهم

تدبير المرضى بالوسائل الصحيَّة (اي الهيجينيَّة)

هذا مبحث مهمٌّ جدًّا وعليهِ المعوَّل في عمل الطبّ ويعوَّل فيهِ على علمهِ . وعلم الطب قسمان حفظ الصحة حاصلة وهو يكون بتعرُّف قوى البدن الصحيح وافعالهِ اعني وظائفهُ وما يؤثر فيها من الاشياء التي من خارج كالهواء والغذاء والشراب والمسكن الخ لاستحصال النافع منها ودفع الضارّ . واستردادها زائلة وهو يكون بالوسائل المتقدّمة وتعرُّف خواص الادوية الى غير ذلك من الوسائل واستخدام النافع منها . وهو مبحث من اصعب مباحث الطب لصعوبة الإلمام بهذه الموضوعات وكثرة التوهم فيها لكثرة اختلافها بحيث يكاد لا يتفق فيها وجود حالين متساويين فلا تكاد ترى احوال الاقليم الواحدة متساوية في وقتين ولا المرض الواحد متساويًا في مريضين ولو انهما تساوت احوالهما . لان سنن الطبيعة وان كانت تميل الى السلوك في ادوارٍ منتظمة الاَّ ان العوامل التي تستخدمها في ذلك مختلفة جدًّا . وقلَّما يقع التساوي اذا كثرت عوامل الاختلاف . لذلك كانت هذه الادوار المتساوية في الظاهر مختلفة في الواقع . وان كان ذلك لا يبدو لنا جيدًا في الاحوال المتقاربة فلأَن الوسائل التي لنا ضعيفة عن دَركهِ ولأن هذا الاختلاف متقلّبٌ اعني انهُ لا يسير سيرًا واحدًا على نهجٍ واحدٍ فيتباعد من جهة ويتقارب من اخرى ويسير سيرًا معرَّجًا بحيث لا ينطبع عليهِ اثر المباينة الكلية ويبدو لنا واضحًا الاَّ بعد الزمان الطويل اعني بعد الوف السنين بل مئات الوفها والوف الوفها . ولا نعني بذلك ان سنن الطبيعة بحدّ ذاتها ليست واقعة تحت ربط او ضبط شبيهٍ بربط القواعد الرياضية وضبطها كلاَّ بل بالضد من ذلك كل ما فيها — ولا يستثنى شيء — خاضعٌ لهذه القواعد وليس عملٌ طبيعي او غير طبيعي (كما يقال جريًا على التسمية والاَّ فمرجع الكل الى واحد) خارجًا عن هذا الحكم حتَّى العقل نفسهُ . وانما اختلاف اجتماع هذه العوامل يؤدي ضرورة الى هذه النتيجة على حكم القواعد الرياضيَّة وان لم يتسنَّ لنا دَرْكهُ

في كل الاحوال . وما زال هذا حال الاشياء في الطبيعة فالطب كثير العثرات ولهذا كان يتعذر على الطبيب ان يضمن شفاء سحج يكاد يشق البشرة ولا يكاد يبلغ الأدمة ولا يتعذر عليهِ ان يرجو ان ينفخ الروح في مريض اشرف على الموت . اعني انهُ لا يستطيع ان يضمن سلامة اخف الادواء ولا يجوز له ان ييأس من اشدها ما دام برؤهُ في حدّ الممكن اعني ما دامت الاعضا اللازمة سليمة من نقصان مادة لا تقوم الوظيفة بدونها . على انهُ وان كان يتعذر على الطب ضبط هذه الاحكام والاحاطة بها لغرضهِ لا لعدم جري احكامهِ كما يتوهم البعض مجرى الاحكام الرياضية ولكن لاعتراض امور اخرى كثيرة تخفى عليهِ تخونهُ في ما يتوقع انما لا ينكر أن الجدّ يذلل له كثيرًا من هذه المصاعب وان تقلبت عليهِ الآراء وابطا السير في هذه الجادة . ويضبط كثيرًا من احكامهِ وكلياتهِ التي يقيهِ الاعتصام بها كثيرًا من عثراتهِ وان لم يستطع دفعها كلها كما ترى في النبذة الآتية التي نوردها عليك في تدبير المرضى ما يريك الفرق مجملين غير مفصلين لان في الاجمال نظرًا في كليات الاحكام والكليات من احسن ما تستقيم معهُ الافعال . ولذلك كل علم وَفرت كلياتهُ (اذا صحّت) هان لان الالمام بالكليات اسهل من الجزئيات وان كان يبنى عليها وأفيد لانهُ يوقفك على الرابط فيدع عملك مربوطًا معقولاً

اعلم ان الانسان في الاصل لم يكن له من الوسائل الصحية الا اليسير ولا جرم كان طبهُ في اول امرهِ قاصرًا على استعمال بعض الاشربة والتدفوء والدلك دون التداوي بالنباتات التي حولهُ لانهُ كان يجهل خواص هذه النباتات كما يظهر لك بقياس التمثيل من القبائل التي لا تزال الى الآن على الفطرة تعيش كما كان الانسان يعيش في العصر الحجري فان سكان ارض النار اي الفوجيين اليوم كما انبأنا ثقات المخبرين لا يعرفون التداوي بغير الدلك والحمامات البخارية يصنعونها بايقاد النار تحت دثار المريض والحمامات الباردة حيث يُفرَض على الوالدة ان تستحم بالماء البارد بعد الوضع حالاً . ولا يتداوون بنباتات بلادهم لانهم يجهلون خواصها الطبية . ولهم سوى ذلك عادة ظاهرها فظيع وهي انهم اذا رأوا المريض يجود بنفسهِ في اواخر النزع عجّلوا عليهِ فغطّسوهُ ويأتونها لا قساوة بل رحمة بهِ تخفيفًا لعذابهِ

وكانت هذه العوائد عند الهنود في الاصل دينية وقد دامت ثلاثة قرون كما عُلم من كتبهم الدينية المسماة "فيدا" وعلى الخصوص "الرغ فيدا" و"قانون مانو" فكان لهم آلهة يسهرون على الطب ويعتنون بكل ما يتعلق بامر الصحة ويسمونهم "ازوين" وكان للهواء

والماء في الصحة والمرض مقام عظيم عندهم كما يظهر لك من الابتهال الآتي وهو مقدَم الى الاله المسمّى عندهم " وِزْوَدْوا " وهو :

" يا الله الانسان ضعيف . يا الله انت مدبّرهُ . يا الله الانسان خاطيء . يا الله انت معيدهُ "

" ريحان تهبّان احداها من البحر والاخرى من البر القاصي . فليهبك هبوب الواحدة القوّة وليذهب عنك هبوب الاخرى بالمرض "

" ايتها الريح ايتي بالدواء . ايتها الريح اذهبي بالداء فان فيكِ كل الشفاء وانتِ رسول الآلهة قالت الريح : اني آتيةٌ اليك بالسعادة والصحة ومقبلةٌ عليك بالقوّة والجمال وذاهبة عنك بالمرض "

" الامواج تبرئ . الامواج تدفع المرض . وفيها كل انواع الدواء فلتهبْكَ الشفاء "

فبمثل هذه الوسائل ونظائرها كان الهنود يحفظون الصحة ويدفعون المرض

والشعب الذي اعتنى بالوسائل الصحية اعتناء عظيما وزاد فيها زيادة مهمة واحترمها احترامًا مقدّسًا كذلك هو الشعب الاسرائيلي حيث نظر الشارع فيهم بالتفصيل الى نوع المآكل والمشرَب والاغتسال وسائر اسباب المعايش وفرض عليهم احترامها فرضًا دينيًا محللاً الطاهر (اي النافع) منها ومحرّمًا غير الطاهر كما في التوراة مما لا يزال مرعيًا عندهم حتّى اليوم

واما المصريون فقد حذوا في ذلك حذو اهل الهند وكان طبّهم قاصرًا على وسائل حفظ الصحة واهمها كان الحمامات والرياضة (الجمناز) والدلك وعلى استعمال بعض الادوية المسهلة وكل ذلك تحت قوانين وضوابط معيّنة عندهم

ولم يتسع نطاق وسائل حفظ الصحة كما ينبغي الاّ عند اليونان لما في نفوس هذا الشعب من حبّ الاتقان في كل امر كما تشهد بذلك الآثار التي تركوها بعدهم . ولكي يبينوا العلاقة الشديدة بين حفظ الصحة وبرء المرض زوّجوا في خرافاتهم " هيجيا " الهة الصحة الى " اسكولابيوس " اله الطب على ان اعتماد كهنة هذا الاله في مداواة المرضى وبرء العلل كان على التدبير الصحي اكثر منهُ على الادوية والعقاقير كما تدل على ذلك معابدهم التي كان المرضى يقصدونها فانها كانت جامعة اسباب الصحة من موقع جيد على شطوط البحار ومنظر جميل محفوف بغابات الاشجار المقدسة متوفرة فيها منافع الماء والهواء والغذاء مع فوائد تأثير الوهم في الاذهان اذ ان المرضى كانوا يقصدون هذه الاماكن مؤمنين مصدّقين

ويزيدهم ثقةً في ايمانهم واملاً في توقعهم ما يرونهُ مكتوبًا على جدار المعبد من عجائب البرء التي تمت فيهِ وهذا كلهُ من وسائل التدبير الصحي وفي النادر جدًّا كان الكهنة يزيدون على هذه الوسائل استعمال بعض العقاقير واخصها الخربق . ثم انشعبت طائفة الكهنة فرقتين فرقة لازمت المعابد وفرقة ذهبت تضرب في الارض وانتشرت في بلاد اليونان وسائر المشرق ومن هذه الفرقة نبغ ابو الطيب ابقراط الشهير

ستأتي البقيَّة

المناظرة والمراسَلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ردّ على انتقاد

حضرة الفاضلين منشئي المُقتَطَف

قرأت في مقتطفكم الاغر الرسالة التي بعث بها اليكما احد القراء الافاضل وقد ذكر فيها حضرتهُ بعد الثناء على مقالتي "الذوق في اللغة والانشاء" انهُ انكر عليَّ امرين كان يودُّ الاَّ يراها فيها لان احدها لغوٌ والثاني استشهاد في غير محلهِ

فانا اشكر صاحب الرسالة على استهلال كلامهِ بمدح مقالتي . وان كانت هي غير جديرة بما وصفها بهِ من التحلي بحلل العلم والفلسفة . وشكري لا يقصر على مدحهِ لمقالتي بل يشمل انتقادهُ عليها ايضًا . لاعتقادي ان حضرتهُ لو لم يحسن مثواها وينظر اليها بعين الاحتفاء لما ظنها خليقة بالاعتبار والانتقاد

غير انني استاذن مناظري بالرد على انتقادهِ من اوجه كثيرة . وأؤمل الاَّ يعزي ذلك الى المكابرة . معاذ الله . فان المكابرة عندي اول عدوّ للعلم واكبر ناصر للجهل . فأقول :

لم يراعِ حضرتهُ في رسالتهِ القاعدة الاولى للانتقاد وهي "ايراد الراي المنتقد عليهِ بنفس الالفاظ التي جاء بها صاحب هذا الراي" ولا يخفى ما لهذه القاعدة من الصواب والعدالة .

فان الغرض المقصود من الانتقاد ليس هو تخطيئة زيد او عمرو. بل السعي وراء الحق سواء كان لنا او علينا. ومن ثم يفرض على المنتقد الاَّ ينصرف بالالفاظ الدالة على الراي الذي يروم الانتقاد عليهِ. لان هذا التصرف مما يحملهُ على تشويهِ المعاني وايهام نفسهِ والقراء أن المنتقد عليهِ عنى بقولهِ الشيء الفلاني. ويكون ذلك الشيء بعيدًا عن افكارهِ. وهو بريءٌ مما نُسب اليهِ من الخطاءِ والشطط. وهذا ما يعرّض المنتقدين في غالب الاحيان الى مطاردة ظلهم والحمل على خيال وهمي تعيرهُ مخيّلتهم حقيقةً وجسمًا

قلت ذلك لان اللغو والاستشهاد في غير محلهِ اللذين اعزاهما اليَّ حضرتهُ هما محض وهم توهمهُ وبنى عليهِ انتقادهُ. فجاء هذا الانتقاد موصومًا بوصمة اللغو الذي نسبهُ الى مقالتي. وهاك بيان ذلك

قال حضرتهُ "اما اللغو فجعلهُ مذهب الماديين عائقًا في سبيل تدارك شوائب اللغة. ولم يفصّل حضرتهُ كيفيَّة اعتراض مذهب الماديين دون اصلاح اللغة. بل لم يذكر وجه العلاقة بين مذهب فلسفي واصلاح لغة يعدُّ امرًا صناعيًا. وهو مثل قولنا إِن مذهب البصريين في النحو يناقض اصلاح القناطر الخيريَّة. والاَّ فما العلاقة بين كون الانسان متولدًا من المادة وكون كلمة كتبخانة غير فصيحة ويجب ابدالها بكلمة مكتبة الفصيحة"

وقد بنى حضرتهُ انتقادهُ على ما ذكرتهُ في حاشية علقتها على مقالتي "الذوق في اللغة والانشاء" المدرجة في العدد الثالث. ودونكهُ بحروفهِ: ان الصعوبات التي تحول دون تدارك الشوائب التي سنذكرها زهيدة جدًّا بالنسبة الى ما يلحق باصلاح اللغة من العوائق اذا صح مبدأ الماديين" والبون العظيم بين القولين يلحظهُ بسهولة كل من تبصر قليلاً في وضعهما اللفظي وتأويلهما المعنوي. واول شيء توهمهُ حضرتهُ هو ان القولين: تدارك شوائب اللغة. واصلاح اللغة: يدلان على معنى واحد متساوٍ في الاطلاق والتضمين. ولا يخفى ما بينهما من التباين والتفاوت. فان تدارك شوائب اللغة نوع. واصلاح اللغة جنس. والجنس اعم من النوع. وان صح القول بأَن تدارك شوائب اللغة ضرب من اصلاح اللغة. فالقول بان اصلاح اللغة قائم بتدارك شوائبها فقط خطاء. لان الاصلاح في عرفنا الاصطلاحي لا يقوم فقط بملافاة العيب والنقص. بل يشمل ايضًا التهذيب والتحسين. وفي كل الامور البشريَّة يوجد الحسن والاحسن

ومن ثم: ان لم تكن علاقة بين كون الانسان متولدًا من المادة وكون كلمة كتبخانة غير فصيحة ويجب ابدالها بكلمة مكتبة الفصيحة على ما قال حضرة مناظري الفاضل. فلا اظن

ان حضرتهُ ينكر وجود علاقة بين كون تولد الانسان من المادة ينفي وجود جوهر بسيط ممتاز فيهِ عن المادة نطلق عليهِ لفظة "النفس" وكون هذه الكلمة تسقط من القاموس اذا صحَّ مبدأُ الماديين لانها تعود اسمًا بلا مسمى

ولو قرأ حضرتهُ حاشيتي المشار اليها واستوفى التبصر فيها الى آخرها لما ادعى انني لم اذكر وجه العلاقة بين مذهب فلسفي واصلاح لغة يعدُّ امرًا صناعيًا . بل لكان وجد ضالتهُ في كل فقرة من فقرها . وليس من قصدي ان اعيد هنا ما جئت بهِ فيها . غير انني اقول لحضرتهِ ان فلسفة اللغة تعلمنا ان الاسماء تتبع الاعتقاد لا ما عليهِ الشيء بنفسهِ . اي ان الالفاظ اللغويَّة تدل على تصورنا للاشياء لا على الاشياء نفسها . ولما كان الاعتقاد يتغير بتغير تصوراتنا الذهنيَّة كان لابد ايضًا ان تتغير المعاني الدالة عليها الالفاظ . وهذا يوجب إما استبدال الالفاظ بالفاظ أُخر بتغير معناها الاصلي الذي وضعت لهُ . وإمَّا تحويلها من الدلالة على معنى الى الدلالة على معنى آخر . وبهذا الاستبدال والتحويل تقوم حيوة اللغة ونموها

فاذا تقدم ذلك اطلب الى مناظري الفاضل ان يقول لي كيف غفلت عنهُ العلاقة الباطنة الموجودة بين المعاني اللغويَّة والمذاهب الفلسفية حتَّى حاول تخطيئتي لاشارتي اليها . بل كيف استباح ضرب مثل خليق بان يدعى مثلاً في غير محلهِ حيث قال "وهو مثل قولنا ان مذهب البصريين في النحو يناقض اصلاح القناطر الخيريَّة" فان كان حضرتهُ لم يلحظ البعد الشاسع الموجود بين الاعمال الصناعية والاعتقادات الفلسفيَّة وبين القواعد النحويَّة والالفاظ المعنويَّة فلا يلوم الاَّ عدم تدقيقهِ في الامور وقلة تحرّيهِ المسألة التي انتقد عليها

وحيث ان حضرتهُ قد دعاني برسالتهِ الى الخوض معهُ في ميدان المناظرة في مبدإ الماديين وعلاقتهِ باللغة فلا بأْس ان اذكرهُ بان الالفاظ اللغويَّة تقسم الى قسمين احدهما يختص بعالم المادة والآخر بعالم الارواح . فقد وضع الانسان منذ دبَّ على وجه الارض الفاظًا تدل على ادراكهِ المحسوسات بواسطة المشاعر الخمسة . والفاظًا تدل على اعتقاداتهِ الدينيَّة والفلسفية من نحو وجود نفس روحية فينا خصَّت بحرية الافعال والمسئولية عنها . وهي التي تحيي الاجسام مدة زمنيَّة في هذا عالم الفناء ثم تنتقل الى عالم البقاء لتؤدي حسابًا عن اعمالها التي جاءت بها في هذه الدنيا . فالقسم الثاني من هذه الالفاظ يسقط من اصلهِ لفقد الالفاظ مدلولاتها متى ثبت لدينا ان عالم الارواح وهْم توهمناهُ او ضغث حلم طرق بني آدم في منام طال بهم الوفا من السنين . ومن المعلوم ان عالم الارواح اساسهُ وجود النفس . فان صحَّ مبدأُ الماديين الذين ينكرون وجودها انتقض بناء هذا العالم الروحي وعادت الالفاظ

اللغويّة الكثيرة الدالة عليهِ اسماء بلا مسميات يجب اسقاطها من القاموس او تحويل معانيها الى معاني اخرى تابعة لاعتقاداتنا الجديدة. فهل ذلك لا يوجب تبلبل اللغة وتغيير الفاظها او معانيها

ولنفرض هنا ان مبدأ الماديين هو المبدأ الصحيح وانهُ سوف يستولي على عقول الخاصة والعامة من الناس . فهل يا ترى خلفاؤُنا في القرون الآتية يعبرون عن معتقداتهم بنفس الالفاظ التي نعبر بها عنها الآن واكثرنا يعتقد بوجود الارواح . هذا مشكل اطلب الى مناظري الفاضل ان يجود عليَّ بحلهِ

واما الاستشهاد في غير محلهِ الذي نسبهُ اليَّ حضرتهُ فهو كوني عبت الالفاظ العربيةَ التي مسخناها بنسبتنا اياها نسبة اعجميّة . فاستنتج من ذلك ما يأتي ” ومفاد ذلك انهُ يجب على علماء الكيمياء والفيسولوجيا ورجال السياسة والناس عمومًا ان يقتصروا على اوزان اللغة العربيّة . واذا ادخلوا كلمة علميّة او اصطلاحيّة وجب عليهم ان يمسخوها مسخًا حتَّى تنطبق على الاوزان العربيّة ولو ضاع معناها الذي وُضعت لهُ “ – اقول ان مناظري الكريم قد تجاهل هنا ما ذكرتهُ بهذا الخصوص في الجزء الرابع من المقتطف وذلك ليجد بابًا للانتقاد. ولو راجع الصفحة ٢٢٧ من ذلك الجزء لقرأ في آخرها هذه الكلمات ” واذا كان تعريب الالفاظ الاعجميّة يؤدي الى الالتباس او كانت اللفظة من الاصطلاحات العلميّة غير القابلة التعريب فعليهِ ان يحسن كتابتها وان يردفها بما يدل على معناها مع وضع علامة لها اظهارًا لاعجميتها

ومن البديهي انني لم اشر بقولي هذا (كما توهم حضرتهُ) الى وجوب ارداف كل كلمة اعجميّة بما يدل على معناها في الكتب العلميّة والفنية المحضة لانهُ من دأب هذه الكتب الاشارة الى اصل الالفاظ العلميّة والفنية وشرح معانيها الاصطلاحيّة. على ان الخطة التي ذكرتها يطردها كثيرون من افاضل كتبتنا في يومنا هذا . ولا اظن ان احدًا عابهم بها ممَّن اتصفوا بسلامة الذوق

واما السؤَال الذي وجههُ اليَّ بقولهِ ” وما قول الكاتب الكريم لو الف كتابًا في النحو واضطر ان يفسر كلمة مبتدا وخبر وحال وتمييز كلما ذكرها “ فاظنهُ قد جاء بهِ من باب الهزل لا الجد . لانهُ ليس في مقالتي ما يستفاد منهُ طلبي تكرير شرح الالفاظ الاعجمية كلما ذكرت في كتاب او مقالة علميّة . فهل من ذي ذوق صحيح يشير مثلاً على كاتب يريد انشاء مقالة في علم ” الانثربولوجيا “ ان يردف هذه اللفظة بتفسيرها ” اي علم الانسان “

كلما احوجهُ الامر الى ذكرها . ولوكان ذلك مئات من المرات

ثم اننا اذا بحثنا بحثًا دقيقًا في ما ذكرهُ حضرة المنتقد بشأْن الالفاظ الكيماويَّة واصوبيَّة اتباع الطرايق الاصطلاحيَّة التي خطها لها علماء الفرنجة نراهُ اصاب من وجهٍ واخطأَ من آخر فلو دخل علم الكيمياء الجديد بلادنا ونحن بالغون الى درجة من الحضارة اوجدت بيننا جمعيَّة لغويَّة عموميَّة شأْنها صيانة اللغة وحفظها من الدخيل لترجح الظن ان الالفاظ الكيماويَّة التي استشهد بها حضرتهُ تكون قد وضعت في قالب اقرب الى روح اللغة العربيَّة مما هي عليهِ الآن على ان قبولنا لهذه الكلمات بهيئتها الحاضرة لم يكن عن رضى منا بل تمسكًا بقول المثل "ان لم يكن ما تريد فارد ما يكون" وفي تعريب كلمة Magnetiser بكلمة مغنط و Galvaniser جلون و Ambroisie عنبر وكلمات اخرى كثيرة نظيرها عبرة يعتبرها كل منصف بسلامة الذوق من الناطقين بالضاد . وماذا يقول حضرتهُ لو نقلت هذه الكلمات الاعجميَّة الى لغتنا دون تعريب وقلنا فيها مغنطس وجلفنز وامبروازي

وما اشار اليهِ حضرتهُ بقولهِ ان المعنى الكيماوي لا يقوم بنفس الكلمة بل بالحروف الملحقة بها او المتقدمة عليها فذلك مما لا يخولهُ حق الانتقاد على ما ذكرتهُ من مسخ بعض الالفاظ العربيَّة مسخًا جعلها خلاسية لان فلسفة اللغة تعلمنا بان لا علاقة بين الالفاظ ومدلولاتها سوى ما اصطلح عليهِ الناس . وقد سبق القول انهُ لو وجد بيننا جمعيَّة لغويَّة يوم دخلت علوم الفرنجة بلادنا لما عسر على هذه الجمعيَّة امر ايجاد طرائق اصطلاحيَّة اقرب الى روح اللسان العربي لنقل الكلمات الاعجميَّة الى لغتنا او لتحويل الالفاظ العربيَّة من مدلولاتها الاصليَّة الى الدلالة على المعاني الكيماويَّة الجديدة وغيرها

واذكر هنا لحضرة مناظري ان حكومتنا المصريَّة لما انتبهت الى الخلل الواقع في نقل الاصطلاحات العلمية والفنية من اللغات الاعجمية الى لغتنا العربية بنوع يخالف الاصول اللغويَّة ودون اتباع قاعدة مقرَّرة قد شكَّلت في اوائل شهر يناير الماضي لجنة من افاضل موظفيها للبحث عن وضع قاعدة مطردة بهذا المعنى والامل انها تنجح في هذا المشروع

هذا منتهى ما وصلت اليهِ قريحتي من الرد على رسالة منتقدي الفاضل وانا اشكرهُ على الفرصة التي متعني بها لازيل مظنة اللغو والاستشهاد في غير محلهِ عن مقالتي

يوسف شلحت

انشاء المعامل في القطر المصري

حضرة منشئي المُقتطف الفاضلين

أرى ان مناظريَّ قد كثروا عدًّا واقبل المُقتطَف نفسهُ لشد ازرهم فاثبت لنا في الجزء الاخير منهُ ان العمال في معامل القطن الاميركيَّة يأْخذ الواحد منهم اجرة من اربعين الى خمسين جنيهًا في السنة ويكون صافي الربح لاصحاب المعامل نحو ستة في المئة في السنة بالنسبة الى رأْس المال بعد القيام بكل النفقات وخسارة الآلات والادوات ٠ ومعلوم انهُ اذا تساوت جميع الاحوال في القطر المصري والولايات المتحدة الاميركيَّة فلا يحسن الاغضاء عن انشاء معامل غزل القطن ونسجهِ في القطر المصري لان ربح ستة في المئة غير قليل واعطاء العمال اجرةً متوسطها اكثر من ستين جنيهًا في السنة يفوق حدَّ الانتظار لان العامل بالفلاحة لا يربح في السنة عشرين جنيهًا اجرةً ومؤُونةً ولكن الاحوال غير متساوية واوجه الاختلاف بين بلادنا وبلاد اميركا كثيرة اعظمها ستة

الاول ان القطن الاميركاني ارخص من القطن المصري والفرق في الثمن بينهما كان دائمًا نحو ثلاثين في المئة وهو الآن نحو ١٥ فقط في المئة بسبب غلاء القطن الاميركاني لقلة موسمهِ ورخص القطن المصري لزيادة موسمهِ والمرجح ان هذهِ النسبة لا تقل عن ذلك ابدًا اي ان القطن المصري يبقى اغلى من القطن الاميركاني بنحو ١٥ في المئة ٠ واذا فرضنا ان ثمن المنسوجات هو مضاعف ثمن القطن يبقى الاميركيون قادرين ان يجعلوا ثمن منسوجاتهم اقل من ثمن منسوجات القطن المصري بنحو سبعة او ثمانية في المئة هذا اذا تساوت بقية النفقات

الثاني ان القطن المصري اشد سمرةً من القطن الاميركاني فيستعمل لمنسوجات مخصوصة حيث لا يطلب ان يكون اللون ابيض ناصعًا واذا اريد قصرهُ حتَّى يصير ابيض كالقطن الاميركاني وادخالهُ في كل المنسوجات اقتضى نفقةً اخرى لقصرهِ ٠ ويظهر ان هذا من اقوى الاسباب التي جعلت الاوربيين يقتصرون على ادخالهِ في بعض المنسوجات دون غيرها

الثالث ان المعامل لا تدور بدون قوة مائيَّة او بخارية كما قلتُ سابقًا اما القوة المائية فمعدومة من القطر المصري حتمًا لاستواء سطحهِ ولا عبرة بانخفاض اراضي الفيوم فانهُ قليل ولا يكفي لادارة المعامل ٠ والقوة البخاريَّة يلزم لها فحم حجري وهذا غير موجود في القطر المصري ولا بدَّ من جلبهِ من البلاد الانكليزيَّة وجلبهُ من هناك الى هنا اغلى من ارسال القطن وجلب المنسوجات اي ان الفحم الحجري الكافي لنسج ما ثمنهُ مئة غرش من المنسوجات القطنية

ينفق على جلبهِ الى مصر اكثر ما ينفق على جلب تلك المنسوجات وعلى ارسال القطن اللازم لنسجها. اما معامل اميركا فالفحم الحجري قريب منها والقوة المائيَّة كثيرة فيها واجرة النقل بالسكك الحديديَّة رخيصة جدًّا بالنسبة الى اجرة النقل عندنا

الرابع ان معامل اميركا لا تنسج اكثر من مقطوعيَّة اهاليها والبلدان التي يسهل عليها الاتجار معها. اما القطر المصري فاذا اقتصر على نسج ما يكفيهِ امكنهُ ان ينشئ ٢٥ معملاً تنسج من القطن كل سنة ثلثمئة الف قنطار اي اقل من جزء من خمسة عشر جزءًا من الغلة السنويَّة ويكون في هذه المعامل نحو ستة آلاف عامل فقط وحينئذٍ يضطر اصحاب هذه المعامل ان يرفعوا ثمن المنسوجات المصريَّة عن ثمن المنسوجات الاوربيَّة نحو ٨ في المئة بسبب زيادة ثمن القطن الاميركي على ثمن القطن المصري او يقللوا اجرة العمال نحو ٢٠ في المئة لان اجرة العمال نحو خمسي ثمن القطن والفحم وان لم يفعلوا هذا ولا ذاك لم يقدروا ان يناظروا المنسوجات الاوربية التي ترد الى اسواقنا

الخامس اذا نسجت معاملنا اكثر من مقطوعية البلاد فالمنسوجات التي تزيد لا يبتاعها التجار ويتجررن بها الاَّ اذا ربحوا مثلما يربحون من منسوجات منشستر على الاقل وذلك لا يكون الاَّ اذا جعلنا ثمن منسوجاتنا مثل ثمن منسوجات منشستر وقد تقدَّم ان ذلك يكاد يكون متعذرًا علينا لغلاء قطننا بالنسبة الى المنسوجات العادية وغلاء بقيَّة المواد اللازمة للغزل والنسج كالفحم الحجري ومواد القصارة والصبغ وما اشبه

السادس ان الربح الذي ذكرهُ المُقتطَف الاغر وهو ستة في المئة لرأس المال يبعد عن الاحتمال ان يكون كذلك في بلاد الانكليز فان اجرة العامل الانكليزي اقل من اجرة العامل في اميركا ومع ذلك رأى اصحاب المعامل في لنكشير وغيرها انهم لا يستطيعون ان يدفعوا الاجرة التي يدفعونها الآن للعمال ولا بدَّ من تنقيصها خمسة في المئة فاعتصب العمال وابطلوا العمل. والآن انا اكتب هذه السطور والجرائد المحلية امامي وفيها تلغراف روتر يقول ان العمال في معامل القطن قبلوا ان يخسم من اجورهم اثنان ونصف في المئة فقط فأبى اصحاب المعامل الاَّ ان يكون الخسم خمسة في المئة. ولم يفعل اصحاب المعامل ذلك عن تعصب ولا عن جهلهم مصلحتهم بل لانهم رأوا ان لا بدَّ من تنقيص اجرة العمال والاَّ ذهبت ارباحهم كلها ووقعوا في الخسران. ومعلوم ان اثنين ونصف في المئة من اجرة العمال تبلغ نحو نصف في المئة من ثمن المنسوجات لان اجرة العمال ليست اكثر من خُمس ثمن المنسوجات فاذا كان اصحاب معامل الغزل والنسج يحاسبون على نصف في المئة من ثمن منسوجاتهم ويعطلون معاملهم من

اجل هذا النصف فكم يكون ربحهم قليلاً . وعندي ادلة كثيرة على ان اصحاب المعامل في بلاد الانكليز لا تربح مئتهم اكثر من ثلاثة في السنة وليس هذا محل سردها . فعسى ان لا يغرّنا اصحاب البنوك لكي نستدين منهم المئة بسبعة وثمانية في السنة ثم نبني بها معامل لا تربح مئتها اكثر من ثلاثة او اربعة في السنة هذا ناهيك عن ان كثرة المعامل تزيد نفقات الاهلين وتصرفهم عن الاشتغال بالزراعة كما ذكر المُقتَطَف الاغر في سنته الرابعة عشرة في الكلام على الصناعة البيتية

واكرر ما ذكرتهُ قبلاً وهو ان الربح الحقيقي من الزراعة ومن الصنائع الصغيرة البيتية التي تزيد اجرة العمل فيها على ثمن المواد الاصلية فعسى ان لا نخل بكلام الذين يحسنون لنا انشاء المعامل لكي يستفيدوا من ابتياعنا آلاتها ثم يشترون حديدها منا بعد ان يصدأ كما فعلوا بالمعامل التي بيعت ادواتها والتي لم تزل تعرض للمبيع م . د .

مطبعة الكانص

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

غلينا خمسة وثلاثين جزءا من الكليسرين ووضعنا فيها اربعة اجزاء من الكانص (لفظة هنديَّة لنبات يستعملهُ الهنود بدل النشاء في عمل الفالوذج) وهو على النار وجعلنا نحركهُ حتَّى ذاب فيهِ تماماً ثم وضعناهُ في صحيفة من التنك علو حافتها نحو سنتيمتر ولما برد جمد واشتدَّ قوامهُ وصنعنا حبرًا كما وصفتم وجه ٢٤٠ من السنة التاسعة ووجه ٥٦٤ من السنة الثالثة عشرة من المقتطف . اي من سبعة دراهم ماء ودرهم انيلين ومثلهِ اسبيرتو وعشر نقط كليسرين ونقطة ايثير واقل من ذلك حامض كربوليك . وكتبنا بهِ على ورقة بيضاء ولما جفت الكتابة طبعناها على صحيفة الكانص فانعكست الكتابة عليها ثم اخذنا نطبع الاوراق البيضاء عليها واحدة بعد اخرى كما هو معلوم في مطبعة الجلاتين . وبلغ المطبوع معنا اربعة وستين ورقة والاخيرة قدمناها لحضرتكم

محمَّد درويش

بغداد معاون محاسبة نظارة الديون العمومية

[المقتطف] وصلتنا الورقة المشار اليها واذا الخط عليها واضح اتم الوضوح . وقد وصلنا ايضاً جانب من الكانص ونظن انهُ من هلام سيلان النباتي المسمَّى جلاتيننا غراسيلاريا وهذا النبات نوع من الطحلب

بابُ الزراعة

العلم في الزراعة

للاستاذ برتلوت الكيماوي الفرنسوي الشهير

وهي خطبة الرئاسة تلاها في جمعية فرنسا الوطنية الزراعية

قال غُليفر (الذي ذكرهُ المؤلف سوفت الانكليزي في روايتهِ المشهورة منذ مئة وخمسين سنة) انهُ وجد في بعض اسفارهِ بلادًا عجيبة تحكمها النوادي العلميَّة بحسب قوانين العلم ونواميس العقل. وقد حاولت هذه الجمعيات اصلاح كل احوال البلاد فابدلت اساليب الزراعة المتَّبعة منذ القِدَم باساليب جديدة مبنيَّة على المكتشفات العلميَّة الحديثة. وقد كان ذلك منذ مئة وخمسين سنة حينما ابتدأ الناس يستعينون على اعمال الزراعة بالآلات الميكانيكيَّة فيعمل الواحد منهم بها ما لا يعملهُ كثيرون بغيرها. وكان الفلاَّحون في بلاد الانكليز قد اخذوا يفلحون ارضهم ويزرعونها على اساليب جديدة. والظاهر ان المؤلف قصد انتقاد هذه الاساليب ولا سيما ما بني منها على علم الكيمياء فقال متهكمًا ان المبتدعين تسلطوا على الرياح والامطار وطاروا بجزيرتهم في الجو وكانوا يقرّبونها من الشمس تارةً ويبعدونها عنها أُخرى حسبما يشاؤُون وتحكَّموا بالطبيعة وافعالها واخضعوها لمشيئتهم ولكن كانت عاقبة ذلك وبالاً عليهم فاقفرت ارضهم وساءَت حالهم حَتَّى كادوا يموتون جوعًا

فبمثل ذلك قابل كتَّاب ذلك العصر مبادئ الزراعة العلميَّة. ولم تزل هذه الآراء في نفوس بعض الناس الى يومنا هذا. ولكن رأي الجمهور قد تغيَّر وزادت منافع العلم وتغيرت بها احوال الناس في هذا العصر حَتَّى لا يستطيع احد الآن من الذين أُنيرت اذهانهم ان يستعمل لغة الازدراء التي استعملها مؤَلف غليفر المشار اليهِ آنفًا

وحقًّا انني لستُ على ثقة من ان ابناء ابنائنا لا يستطيعون ان يتحكموا بفصول السنة فقد ادَّعى بعض الاميركيين الآن انهم يستطيعون اسقاط المطر باشعال الديناميت. وهذا كان ظن الرومانيين الذين كانوا يحسبون ان المعارك الهائلة تؤَثر في الجو ولكن ذلك لم يثبت بالامتحان. اما المخترعات التي ازدرى بها الكاتب الانكليزي المشار اليهِ آنفًا فقد صارت الآن اساس صناعة الفلاحة

وقد اخذت الزراعة العلمية تنوب مناب الزراعة التقليديَّة وتزيد في ثروة الامم

ورفاهتها ولجمعيتنا اليد الطولى في تعزيز هذه الصناعة وإعلاء شأنها باشتغال اعضائها وبالجوائز التي تهبها للمكتشفين . وقد عضدت كل المخترعات العظيمة التي رأتها بعض العقول الذكيّة في العصر الماضي قبل تحققها فاتخذها كتّاب ذلك العصر موضوعًا للتهكم والازدراء ولكنها تقوّت وتعزّزت مدة السنين الخمسين الماضية . وقد كانت العلوم الماديّة اساس هذا التقدم الذي نراهُ الآن في الزراعة ونعجب بهِ كما كانت العلوم العقليّة والادبية اساس ارتقاء الفلاّح الذي ارتقى الآن الى درجة اهل المدنيّة . وهو كل يوم يزيد علمًا ومعرفة ويعوّل على القواعد العلميّة في استثمار ارضهِ واصلاح شأنهِ . والفضل في هذا الاصلاح الزراعي لثلاثة علوم وهي علم الميكانيكا وعلم الكيميا وعلم الفسيولوجيا . فالآلات الزراعيّة الميكانيكية تمكننا من حرث الارض وزرعها وحصدها بنفقة قليلة وتعب قليل فتزيد بذلك خيرات الارض بالنسبة الى المال والتعب اللذين يبذلان فيها

ولكنّ الآلات لا توجد شيئًا من لا شيء وغاية ما تفعلهُ انها تستخرج الخيرات التي توجد في الارض بواسطة القوى الطبيعية . وقد كانت افعال هذه القوى محجوبة بحجب الخفاء وكذا الاساليب التي ينمو فيها النبات ويغتذي من الهواء والماء والتراب لكي يصير غذاء للحيوان ولم تأخذه الحجب بالانكشاف الّا منذ مئة عام لان انكشافها قبل ذلك العصر كان ضربًا من المحال اذ لم نكن نعلم ماهية العناصر الكيماويّة الداخلة في تركيب النبات والحيوان ولا سرّ انتقالها الى الاجسام الحية . وقد كشفت لنا الكيمياء هذا السرّ حينما اطلعتنا على العناصر نفسها وعلمتنا ان نعرفها ونتبين خواصها في النبات والحيوان واثبتت لنا ان العناصر تصير مركبات آلية في النبات فقط ثم يصير النبات غذاء للحيوان واوضحت لنا كيفية استغلال النباتات النافعة وتغذية الحيوانات بالاغذية الآلية . وقد كان من هذه الحقائق البسيطة نفع عظيم وخير عميم

ولا اطيل في هذا الموضوع مع انهُ يستحق كل اطالة وحسبي ان اقول ان عناصر النبات تقسم الى طائفتين كبيرتين ففي الواحدة الاكسجين وكربون الحامض الكربونيك والهيدروجين وبعض النيتروجين تؤخذ من الهواء الجوي وهي فيهِ كثيرة لا حدّ لها . واما القلويات والكلس (الجير) والسلكا والحديد وبعض النيتروجين فتؤخذ من الارض وتبقى في المحصولات فتخسرها الارض وتفتقر اليها فيجب ان تضاف اليها ثانية والاّ افتقرت وامحلت . وكل نبات يحتاج الى انواع مخصوصة من العناصر . ولا بدّ من ان تكون هذه العناصر موجودة في الارض قبل زرعهِ فيها او ان تضاف اليها اضافةً . وهنا تظهر فائدة

السماد الكيماوي فان فيهِ سرَّ غذاء الارض وكثرة غلتها

والآلات الزراعية ضرورية لاتقان الزراعة · ولا غنى عن المعارف الكيماوية ولكنَّ هنالك علمًا آخر اشدَّ لزومًا من كل ما تقدم لانهُ متعلق بالحياة نفسها في النبات والحيوان وهو الذي نسمونهُ علم الفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) وكلكم تعلمون لزومهُ لمعرفة احوال الحاصلات الحيوانيَّة والنباتيَّة ولنمو الحيوان والنبات نموًّا صحيًا · وتعلمون لزوم علم حفظ الصحة لحفظ صحة الناس والمواشي والنباتات ايضًا · وطالما اساء الناس الظن بهِ أما الآن فاعترفوا بلزومهِ وفائدتهِ · وقد فاز هذا العلم بانهُ اطال عمر الانسان ووقى المواشي من الاوبئة وبسط حمايتهُ على حاصلات الارض لكي ينجيها من الامراض التي تتلفها وتستأصلها

ولكن حفظ الحاصلات لا يكفي بل لا بدَّ من تكثيرها ايضًا · وفي ذلك للعلم مجال واسع فقد تمكنَّا بواسطة الانتقاء العلمي من اتقان الزراعة اتقانًا عظيمًا ولم نكتفِ باجادة الزراعة حتَّى تكثر غلة الارض بل انتقينا البزور فزدنا مقدار السكر في البنجر (الشمندر) ثلاثة اضعاف · وزدنا غلة البطاطس على هذا الاسلوب ايضًا وسنزيد غلة الحنطة حتمًا · ونجحنا هذا النجاح نفسهُ في زيادة غلة الفواكه والبقول ونتاج المواشي وذلك كلهُ عائد لنفع نوع الانسان

وقد حصل هذا التقدم بواسطة ما عُرف من نواميس الاحياء التي كشفها لنا العلماء ولولم ينالوا منها نفعًا وهي اساس جميع الاعمال · وبواسطة اجتهاد المخترعين الذين خُصُّوا بالحذق والمهارة ونفعوا انفسهم بمخترعاتهم ونفعوا ابناء نوعهم

ولكنَّ اكتشاف الحقائق العلميَّة واستنباط الوسائط العمليَّة لا يكفيان المخترع ولا يفيان بالغاية المطلوبة بل لا بدَّ من ان يكون الجمهور مستعدًّا لقبول هذه الاكتشافات والانتفاع بها · ولهذه الغاية وُسّع نطاق التعليم العمومي ولم يقتصر على المعارف الابتدائيَّة والآداب المدنيَّة بل تضمَّن الاصول العلميَّة الاساسيَّة التي لا بدَّ من معرفتها لحفظ الصحة والتقدم في الصناعة والزراعة · وقد رأت كل البلدان المتمدنة لزوم هذا التعليم ووسَّعت الحكومات الجمهوريَّة نطاقهُ اكثر من غيرها

وقد مضت الآن ايام الجهل والغباوة ولم يبقَ العلم محصورًا في فئة قليلة مستأثرة بهِ بل فُتحت ابوابهُ للجميع لانهُ ضروري للتقدم في جميع الاعمال · وكل ابناء الوطن الاحرار حريون بان يتمتعوا بذلك العمل الذي هو في مقدَّمة الاعمال كلها ألا وهو الزراعة . فان المعيشة في الارياف الزراعية هي المعيشة الاصلية الطبيعية وفيها يبلغ الانسان اشدَّهُ من القوة

والعافية جسدًا وعقلاً ونفسًا . وابناء الارياف المتّصفون بالذكاء والاجتهاد هم قوّة الامة وعمادها ولا سيما الامة الفرنسويّة وبهم تغلّبت هذه الامة على ما المّ بها من البلايا والملمات وعليهم اعتمادنا في نجاح بلادنا وارتقاء شأنها

* * *

القمح

زراعتهُ وتسميدهُ

زرع الناس القمح من قديم الزمان فان الصينيين كانوا يزرعونهُ منذ خمسة آلاف سنة وكذلك اهالي مصر وفلسطين واكثر البلدان المعتدلة الاقليم في اسيا وافريقية واوربا وهو يزرع الآن في هذه البلدان وفي اميركا الشماليّة والجنوبيّة واستراليا

وتختلف صفاتهُ باختلاف الاقاليم ولهُ تنوعات كثيرة تختلف في طول السنابل وتفرعها ووجود الحسك وعدمهِ وطول الحبوب وقصرها وبياضها واسمرارها وكثرة النشا فيها وقلتهِ الى غير ذلك . ويختلف مقدار الدقيق الجيد الذي يستخرج من القمح فهو في القمح الجيد من ٧٦ الى ٨٠ في المئة وفي غير الجيد قد لا يكون اكثر من ٦٨ في المئة

وطرق زراعة القمح في هذا القطر والقطر السوري معروفة مشهورة ولكننا لم نسمع ان احدًا اهتمّ بزراعتهِ من باب علمي حتَّى يعرف الاساليب التي تكثر بها الغلة ويجود نوع الحنطة والاساليب التي تقلّ بها الغلة ويفسد نوعها . الاَّ ان ما نهملهُ نحن يهتم به غيرنا . واشد الناس اهتمامًا بالبحث الزراعي العلمي السر جون لوز والدكتور غلبرت الانكليزيان فقد امتحنا زرع القمح مدة ٤٤ سنة متوالية في انواع مختلفة من الاراضي وكانا يسمدانهِ باسمدة مختلفة او يتركانهِ بلا سماد وجريا في ذلك على اساليب شتى فاكتشفا حقائق كثيرة حريّة بالاعتبار وكانت غلة الفدان تختلف من اردب واحد الى عشرة ارادب حسب نوع الارض والسماد والخدمة ولا يقتصر الاختلاف على مقدار الغلة بل يتناول نوعها ايضًا فيكون وزن الاردب ثلاثة قناطير مصريّة وقد يكون وزنهُ ثلاثة قناطير ونصف قنطار

ولما كان الكيل المستعمل في تقادير لوز وغلبرت هو البشل اخترنا بقاءهُ على حالهِ لصعوبة تحويلهِ في كل الجداول التالية الى الاردب المصري . ونسبة البشل الى الاردب كنسبة واحد الى خمسة ونصف وعند التحقيق كنسبة ١٠٠٠٠٠ الى ٥٤٤٧٣٩

والحقيقة الاولى من الحقائق التي ثبتت بالامتحان ان الغلة تجود في بعض السنين ولا تجود في غيرها لاسباب طبيعيّة ليست خاضعة لارادة الانسان ولكن جودتها في سني الخصب

لاتكون على نسبة واحدة في كل الاراضي ولا محلها في سني الجدب بل ان مقدار الجودة ومقدار المحل يختلفان باختلاف الارض و باختلاف السماد الذي تسمد بهِ كما ترى في هذا الجدول الذي وضع فيهِ مقدار غلة الفدان في سنة الخصب ومقدارها في سنة الجدب وذلك في الارض التي لا سماد فيها وفي الاراضي المسمدة بانواع مختلفة من السماد

	سنة الخصب	سنة الجدب
(١) بلا سماد	١٧ ١/٤	٤ ٣/٤
(٢) مسمدة بزبل المواشي ١٤ طنًّا للفدان	٤٤	١٦
(٣) مسمدة بالسماد الجمادي وقنطارين من املاح الامونيا	٣٩ ٥/٨	١٠ ١/٨
(٤) بالسماد الجمادي وستة قناطير من املاح الامونيا	٥٥ ٥/٨	٣٠ ٥/٨

والحقيقة الثانية ان السماد يزيد خصب الارض ولو توالت عليها سنو الخصب والجدب. وهاك متوسط غلة الفدان مدة ٣٤ سنة متوالية بعضها سنو خصب و بعضها سنو جدب

(١) بلا سماد	١٣ ١/٨	بشل
(٢) مسمدة بزبل المواشي ١٤ طنًّا للفدان	٣٣ ٣/٤	"
(٣) " بالسماد الجمادي وقنطارين من املاح الامونيا	٣٤ ١/٨	"
(٤) " بالسماد الجمادي وستة قناطير من املاح الامونيا	٣٦ ٣/٤	"

و يظهر ان السماد الجمادي لا فائدة منهُ ما لم يكن ممزوجًا بالاملاح النيتروجينيَّة وهذا هو سبب فائدة السباخ المستعمل في القطر المصري فان الاملاح النيتروجيَّة كثيرة فيهِ

والحقيقة الثالثة ان الارض التي لا تسمَّد تبقى غلتها على معدَّل واحد تقريبًا مدة عشرين سنة ثم تقلُّ رويدًا رويدًا بعد ذلك فقد زرعت ارض اربعين سنة متوالية فكان متوسط غلة الفدان في السنوات العشر الاولى ١٥ بشلاً وثلاثة ارباع وفي السنوات العشر الثانية ستة عشر بشلاً ونصف وفي السنوات العشر الثالثة اثني عشر بشلاً وثلاثة ارباع وفي السنوات العشر الرابعة ١٠ وربع البشل . وكان وزن الحنطة والتبن في السنوات العشر الاولى ٣٧١١ ليبرة وفي السنوات العشر الثانية ٢٧٣٨ ليبرة وفي السنوات العشر الثالثة ١٩٢٤ ليبرة وفي السنوات العشر الرابعة ١٦١٤ ليبرة

سنأْتي البقيَّة

زراعة البصل

جاء في كتاب الفلاحة اليونانيّة لقسطوس بن لوقا الرومي ما نصهُ

” زرع البصل الذي يتخذ للزريعة في العشر الاخير من كانون الثاني (يناير) ويزرع المتخذ للاكل في شباط وفي اذار (فبراير ومارس) وافضل الارضين لزرع البصل ما كان منها مستويًا رخوًا واذا زرع من بزرهِ فينبغي ان يخلط بكل حفنة من البزر حفنتان من التراب خلطًا بالغًا ثم يبذر فان زريعة البصل دقيقة فاذا بذرت من غير ان يخلط بها تراب كان ما تحصل منها في قبضة الزارع حال البذر كثيرًا فاذا بذرهُ لم ينعم تفريقهُ في الارض فنبت متقاربًا يفسد بعضهُ بعضًا هذا ان نبت جميعهُ والاَّ فالغالب عليهِ ان لا ينبت منهُ النصف واما اذا أُضيف الى كل كيل من زريعة البصل ثلاثة اكيال أو كيلين من التراب وخلط بها خلطًا بالغًا فان الحاصل منها في قبضة الزارع حين البذر يسير فيبلغ من تفريقها في الارض ما احبهُ فينبت جميعًا فاذا بلغت مقدار شبر نقلت الى المواضع التي يريد قرارها فيهِ. ويجمع البصل المتخذ للاكل في حزيران (يونيو) وتجمع زريعة البصل في تموز (يوليو) ولا ينبغي ان يكثر السقي على البصل المتخذ للزريعة فانهُ اذا كثر عليهِ السقي اخذ يتطاول وقل بزرهُ بل يكون سقيك اياهُ بقدر ما يمنعهُ ان يجف واذا سمدت الارض التي يزرع فيها البصل بيسير من دردي الخمر مع ما قدم من السرجين كان البصل الذي يزرع فيها حلوًا فالحًا وذلك بان تعمد الى ما يرسب من الخمر في الخوابي التي يخزن فتجعلهُ في الشمس في اواني متسعة الافواه وتتركهُ حتَّى يستحكم يبسهُ وتدقهُ دقًا ناعمًا وتخلطهُ بالسرجين القديم وعيارهُ منهُ العشر ويسمد بذلك الارض التي تريد زرع البصل فيها تسميدًا معتدلاً “

اما الباحثون في علم الزراعة الآن فقد قالوا ان في الرطل من بزر البصل ١٢٨ الف بزرة فاذا بذر في الفدان مئة رطل منهُ وكانت الارض مفلوحة اتلامًا بين كل تلم وآخر خمس عشرة عقدة وقع في كل ما طولهُ عقدة من كل تلم ثلاثون بزرة ولا يصح ان يبذر في الفدان اقل من خمسين رطلاً الى مئة رطل مصري من البزر . ولكن قد لا تكون رطوبة الارض كافية ليبتل بها كل البزر وينبت فيجب حينئذٍ ان يبل بالماء قبل زرعهِ بيومين . ولابدَّ من ان تكون الارض جيدة وان تسمد بسماد فصفوري نيتروجيني كفصفات الصودا ونيترات الصودا . ومقدار السماد خمسة قناطر للفدان . اما الزبل فاقل فائدةً لتاخر فعلهِ ولابدَّ من نزع كل الحشائش حالما تظهر وتكثير المياه

الاعتناء بالخيل

نريد بالخيل هنا الخيول المستعملة في الزراعة للحرث او لادارة السواقي (النواعير) او لنحو ذلك من الاعمال والغالب ان الخيول التي تكون في الاراضي الزراعيَّة تأْكل كثيرًا وتبقى نحيفة عجفاء كأنَّها لا تأْكل شيئًا لانها تُتْعَب كثيرًا قبل ان تهضم طعامها وتشرب وهي متعبة وتعرَّض للذباب على انواعهِ ولا تساس ولا تحسّ

اما اذا اريد ان يساس الفرس جيدًا وجب ان يؤْخذ للعمل في الصباح عند شروق الشمس حتَّى اذا انتصف النهار اعيد الى الاسطبل او الى الظل ونزعت العدَّة عنهُ وعرّي من كل ما عليهِ وغسلت عيناهُ ومنخراهُ ومُسح بفرشاة خشنة من القش وتصنع لهُ عصيدة من النخالة (الرضة) او بزر الكتان او جريش الحنطة او الشعير و يسقاها وهي فاترة قليلاً حَتَّى تكون حرارتها مثل حرارة دمهِ ثم يطعم العلف المعدّ لهُ و يترك مستريحًا اربع ساعات ثم يعاد الى العمل اذا اقتضى الامر فيذهب مستريحًا كأَنهُ لم يعمل في الصباح . و يسقى في المساء كما سقي الظهر ولكن يكون شرابهُ في الظهر من العصيدة ما يملأُ قدحًا مصريًّا وفي المساء ما يملأ نصف قدح او نحو عشرة ارطال مصريَّة هذا في الصيف اما في الشتاء فلا تسقى الخيل كثيرًا ولكن لا بدَّ لها من ان تأْكل قليلاً قبل الذهاب للعمل

واذا كانت الخيل بعيدة عن البحر الملح وعن السباخ الملحيَّة وجب ان يوضع لها مع علفها قليل من الملح او يوضع الملح بقرب المعلف حَتَّى تأْكل منهُ قدر ما تشاء

شذور زراعيَّة

سيعرض في معرض شيكاغو باميركا قرص من الجبن مصنوع في كندا ثقلهُ مئتان وستون قنطارًا مصريًّا وهو اكبر قرص من الجبن صنعهُ الناس حَتَّى الآن . وسيعرض فيهِ ايضًا ثور ثقلهُ اربعون قنطارًا مصريًّا

في جمهوريَّة ارجنتين اربعة ملايين من النفوس اي نحو نصف سكان القطر المصري ولكن كانت قيمة حاصلاتهم الزراعية في العام الماضي اربعين مليونًا من الجنيهات وقيمة الصادر من بلادهم نحو ٢٥ مليونًا وقيمة الوارد اليها نحو ٣٢ مليونًا

كانت مساحة الارض التي تزرع ذرةً في تونس ٩٤٦ الف فدان سنة ١٨٨١ فصارت مليونًا و ٨٢٥ الف فدان سنة ١٨٩٢ وزاد ثمن غلة الحبوب من نصف مليون جنيه الى مليون جنيه وكانت مساحة الارض المزرعة كرومًا ٧٥٠٠ فدان فتضاعفت الآن وكان مقدار الخمر التي تعصر منها ٣٢٧ الف جالون فصار الآن مليونين و ٢٦٠ الف جالون اي ان الحبوب زادت ضعفين والخمر زادت سبعة اضعاف وسيكون مقدار الخمر هذهِ السنة ثلاثة ملايين و ١٥٠ الف جالون . وكانت بلاد تونس مشهورة بكثرة زيتونها فقلع كثير منهُ وزرعت الكروم بدلاً منهُ اما الآن فعادوا الى زراعة الزيتون وزرعوا منهُ ٥٦ ميلاً في السنوات الخمس الاخيرة زرعها الفرنسويون

* * *

يستعمل الانكليز كل سنة اربعين مليون اردب من الحنطة يدفعون ثمنها ٤٦ مليون جنيه واكثر هذه الحنطة مجلوب جلبًا لان غلة البلاد نحو ثلاثة اعشار الحنطة التي تستعملها

* * *

سنَّت حكومة الدانيمرك قانونًا يوجب قتل كل المواشي التي يظهر فيها داء التدرُّن

* * *

تبلغ غلة الكستنا في فرنسا نحو مليوني جنيه كل سنة

مسائل واجوبتها

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السوال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرِّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) شوشا (بروسيا) البرنس رضاقلي ميرزا بن بهمن ميرزا قاجاد . كيف يكون المدُّ والجزر في ماء البحر فان هذا وان كان مذكورًا في جزء من اجزاء المقتطف من هذه السنة الَّا انهُ كان مجملاً جدًّا فاستدعي منكم

زيادة بيان

ج المدُّ ارتفاع ماء البحر والجزر هبوطهُ ويحدثان في وقت واحد في الجهات المتقابلة من الارض اي متى ارتفع ماء البحر في مكان ما ارتفع ايضًا في الجهة التي تقابلهُ على سطح

الكرة الارضيَّة وهبط عند منتصف البعد بينهما كما يرَى في هذا الشكل فان الكرة السوداء الكبيرة تشير الى الارض والحلقة المخططة حولها تشير الى الماء والمدُّ فيهِ عند الحرفين ا وح والجزر عند الحرفين ب ود

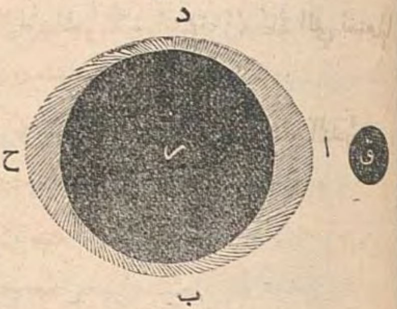

والسبب الاكبر للمد هو جذب القمر لماء البحر. فافرض القمر الكرة الصغيرة ق فنصف الكرة الارضيَّة المتجه الى القمر ينجذب اليهِ اكثر من النصف الآخر والماء على الجانب المتجه الى القمر يطيع تلك الجاذبيَّة ويرتفع واما الماء على الجانب الابعد عند ح فينجذب الى القمر اقل من الارض الجامدة التي تحتهُ فيرتفع في ذلك الجانب ايضًا كما نرى في الشكل. ثم ان الشمس تجذب الارض ايضًا وتفعل بماء البحار فعل القمر بهِ ولكن فعل القمر اقوى من فعل الشمس مرتين ونصف مرة لان الشمس بعيدة جدًّا فيقل جذبها بسبب بعدها ويقل فعلها ايضًا لان جذبها لجانبي الارض يكاد يكون واحدًا فاذا كان القمر والشمس مقترنين او متقابلين اي القمر على جانب من الارض والشمس على الجانب الآخر فعلت جاذبيتهما معًا فعظم المدُّ والجزر واما في التربيعين اي متى كان القمر على جهة والشمس على منتصف البعد بين جهة القمر والجهة المقابلة لهُ قلَّ المدُّ والجزر لان فعل الشمس يبطل جانبًا فعل القمر حينئذٍ

ومعدَّل ارتفاع المدّ في الكرة الارضيَّة كلها نحو قدمين ونصف ولكنهُ يرتفع في بعض الاماكن ستين او سبعين قدمًا لاسباب محلية ولا يشعر بهِ في البحار والبحيرات المحاطة بالبر. وبما ان المدَّ حادث من جذب القمر فكان الواجب ان يتبع القمر في سيرهِ حول الكرة الارضيَّة ولكنهُ يتأخر عنهُ بسبب مقاومة قاع البحر لحركتهِ ولان الانتقال من السكون الى الحركة لا يتم دفعةً واحدةً اما المدُّ والجزر في الخلجان ونحوها فلا يحصلان من جذب القمر لمياهها نفسها بل من امواج آتية من موج مدّ البحر المتصل بها

(٣) ومنهُ. مَن اول مَن اكتشف علة المد والجزر

ج ان الاقدمين عرفوا علاقة القمر بالمد والجزر قال القزويني في كتاب عجائب المخلوقات ما نصهُ "ان القمر اذا صار في افق من آفاق البحر اخذ ماؤُهُ في المدِ مقبلاً ولا يزال كذلك الى ان يصير القمر في وسط سماء ذلك الموضع فاذا صار هناك انتهى المدُّ منتهاهُ فاذا انحطَّ القمر من وسط سمائهِ جزر

الماء ولا يزال كذلك راجعًا الى ان يبلغ القمر مغربهُ فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاهُ فاذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد ثانية الَّا انهُ يكون اضعف من الاول ثم لا يزال كذلك الى ان يصير القمر في وتد الارض فحينئذٍ ينتهي المدُّ منتهاهُ في المرَّة الثانية كذلك في ذلك الموضع ثم يبتدئ بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتَّى يبلغ القمر افق مشرق ذلك الموضع فيعود المد الى ما كان عليهِ اولاً". ولكنَّ اوَّل مَن بيَّن حقيقة المد والجزر وحسابهما الفيلسوف اسحق نيوتن الانكليزي والعالم لابلاس الفرنسوي

(٣) ومنهُ. يقال انهُ كان في مدينة بصرة رجل ينظر من اربع اعين اثنتان منها على التركيب الطبيعي واثنتان فوق الحاجبين فهل ذلك صحيح. وان كان صحيحًا فهل يلزم عنهُ ان يكون في خلقة الدماغ وعظام الراس تغيير

ج لم نعثر على ذكر هذا الرجل في جريدة من الجرائد العلميَّة التي نراها ولكن ذلك لا ينفي صحة الخبر لانهُ محتملٌ وان كان احتمالهُ بعيدًا جدًّا. ولو كان تعدُّد الاعضاء في ما يتعدَّد عادة في الحيوان الاعجم كالثدي لكان احتمالهُ قريبًا فقد شوهدت نساء للواحدة منهنَّ ثلاثة اثدٍ او اربعة. اما المسوخ التي لها رأسان او اربعة ايدٍ او اربعة ارجل فكلُّ مسخ منها توءمان ممتزجان. واذا كان ما تقدَّم عن هذا الرجل صحيحًا فلا بدَّ من ان يكون لعينيهِ الزائدتين محجران واعصاب بصريَّة وذلك يغير شكل الدماغ كما لا يخفى

(٤) الاسكندريَّة. المسيو ابرامينو بن لَحسين. اطلعتُ في احدى الجرائد الفرنسويَّة على اعلان لاحد الاساتذة يقول فيهِ انهُ يداوي ويشفي مَن يعتريهِ النسيان بوصفة او وصفتين بالمكاتبة فقط لقاء اجرة معلومة تنقد سلفًا فما ظنكم بذلك أحقيق ما اعلنهُ وهل بامكانهِ الشفاء

ج هذا الاستاذ دجَّال اما النسيان فاذا كان حادثًا من سبب وهمي فالوهم يزيلهُ غالبًا وحينئذٍ لا عبرة بما يكتبهُ هذا الاستاذ بل بما يعتقدهُ فيهِ صاحب هذه العلة واما اذا كان النسيان حادثًا عن مرض او عن خلل في بعض اجزاء الدماغ فلا فائدة للوهم

(٥) ومنهُ. ما هي الوسائط لدفع النسيان

ج قد يحدث النسيان من ضعف في الدماغ اثر مرض فيزول بزوال السبب وامتلاك الصحة وقد يكون من آفة جراحية ككسر او رض او خرَّاج فيزول بزوال الآفة. وقد يكون من تغير في بناء مراكز الذاكرة او الاعصاب المتصلة بها وهذا لا نظن ان لهُ علاجًا. وقد يكون من التعب وعلاجهُ الراحة وقد يكون من قلة تمرين الذاكرة وعلاجهُ تمرينها وهو ما يسمى بالذاكرة الصناعيَّة وقد شرحنا اساليب تقوية الذاكرة

في الجزء السابع من المجلد الثامن من المُقتَطَف

(٦) ومنهُ . يتصوَّر احدهم كيفما اتجه ومهما صنع تصوراتٍ مشومة فيفتكر تارةً بالموت والموتى وتارةً بانهُ تحت خطر القتل وطورًا انهُ قصير العمر مع انهُ يتعاطى اعمالهُ على جاري العادة فما الواسطة لدفع هذه الاوهام

ج ان يصلح هضمهُ وصحتهُ العامة ويجتنب العزلة ويكثر من النزهة والرياضة الجسديَّة ومن الاشغال الَّتي تصرفهُ عن الاشتغال بنفسهِ

(٧) الاسكندريَّة . السيدة زويه عبد النور . ما هو القصد من عمل المساخر في ايام المرافع ومَن استنبط ذلك اولاً

ج قد ذكرنا كل ما نعرفهُ من هذا الموضوع في هذا الجزء في الكلام على المرافع

(٨) ومنها . شاهدنا فتيات يلعبن في الهواء غير ممسوكات بشيء ولا مستندات على شيء فهل ذلك بالسيمياء او بالمغنتزم

ج ان ما يرى كذلك إما ان يكون اجسامًا خشبيَّة معلقة باسلاك دقيقة لا ترى عن بعد كالاجسام التي يحركها رجل اميركي اتى هذا القطر في اوائل سنة ١٨٩٠ وقد شرحنا كيفيَّة تركيبها في الجزء الاخير من المجلد الرابع عشر من المقتطف . واما ان تكون صورًا تلقى بالفانوس السحري امام الناظرين فيظنونها اشخاصًا حقيقيَّة وقد شرحنا ذلك بالاسهاب في المجلدات الماضية

(٩) عزبة الزيتون . حسن افندي عبد الجليل . ان مَن أُصيب بداء الكلب ولم ينجع فيهِ علاج وخيف منهُ على الناس ينخل على رأْسهِ رماد من مكان عالٍ بغربال فيموت حالاً وكثيرًا ما شوهد ذلك في مدينتنا الموصل فما سبب موتهِ

ج لم نسمع بهذا الامر من قبل ولم نرَ ان احدًا من الثقات ذكرهُ واذا ثبت امرهُ فربما يكون لمنظر تساقط الرماد تأْثير في اعصاب المكلوب المنهيجة فتسرع وفاتهُ

(١٠) ومنهُ . سمعت ان في بلاد الفلاحين في جهات الموصل بقرةً اصيبت بداء الكَلَب فذبحها اصحابها واكلوا لحمها فلم يصب احد منهم بشيء سوى واحد جُرِحت يدهُ بعظمها جرحًا خفيفًا فاصيب بهذا الداء فما سبب ذلك

ج اذا صحت الحادثة الَّتي ذكرتموها فيكون سم الكَلَب مثل سم الافعى لا يؤَثر في المعدة بل في الدم فان الانسان قد يشرب سم الحيَّة فتهضمهُ معدتهُ ولا تضرُّ بهِ اما الذي جُرح بعظم البقرة فقد دخل سم الكَلَب دمهُ وفعل بهِ

(١١) ومنهُ . كيف يستحضر الهيدروكينون

ج باستقطار الحامض الكينيك استقطارًا جافًّا

(١٢) مصر . محمَّد افندي هاشم . ارجوكم ان تخبروني عن اسم كتاب فرنسوي يتكلم فيهِ عن اسباب وضع ارمات الدول

ج نظن ان كتاب Gourdon Genouillac المسمى L'Art Héraldique يفي بمطلوبكم وهو حديث طبع سنة ١٨٨٩

اخبار واكتشافات واختراعات

دولتلو رياض باشا ونظارة المعارف

يجد القراء الكرام في الجزء العاشر من السنة الاولى من المُقتطَف الذي صدر في غرة مارس سنة ١٨٧٧ اي منذ ست عشرة سنة تمامًا رسالةً موضوعها العلوم الطبيعيَّة والنصوص الشرعيَّة يظهر منها اهتمام صاحب الدولة رياض باشا بالمقتطف منذ اول صدورهِ وكان دولتهُ حينئذٍ ناظرًا للمعارف العموميَّة . ومن ثمَّ الى الآن لم يلقَ المقتطف من دولتهِ الاَّ كل تعضيد شأْن دولتهِ في تعضيد جميع المشروعات العلميَّة والاعمال النافعة . والآن يتلقَّى المقتطف بشرى رجوع دولتهِ الى نظارة المعارف بالترحاب و يزفُّها الى جميع قرائهِ الكرام في مشارق الارض ومغاربها . فقد قُلِّد نظارة المعارف في اواسط الشهر الماضي فوق نظارة الداخليَّة ورئاسة النظار نسأَلهُ تعالى ان يأْخذ بيدهِ ويحقق جميع ما يتمنَّاهُ من الارتقاء لهذا القطر السعيد

مكتشف القنديل الكهربائي

قلنا في الجزء الماضي في الكلام على مكتشف تطعيم الجدري "ان المكتشف الحقيقي للشيء هو الذي يقنع الناس بوجودهِ وباستعمالهِ" ولم يخطر لنا اننا نرى باعيننا دليلاً حسيًّا على ذلك قبل مضي شهر من الزمان فقد زارنا بالامس رجل اميركي واخبرنا عن اكتشاف برَش للقنديل الكهربائي المنسوب اليهِ قال ان برش هذا عامل من عمَّالي وفي احد الايام رأَيت في جريدة فرنسويَّة ان بعضهم صنع قنديلاً كهربائيًّا فناديتُ برش هذا ورغبتهُ في عمل قنديل كهربائي فلم يكن الاَّ برهة وجيزة حتَّى صنع القنديل الذي سمَّيتهُ باسمهِ واخذتُ براءة بهِ من الحكومة وللحال كثر الطلب عليهِ فوسعت معملي وكثُرت ارباحي ولم يمضِ عليَّ عشر سنوات حتَّى ربحتُ اربعة ملايين من الريالات الاميركيَّة فتركتُ العمل لغيري وجلت في الدنيا انفق من المال الوافر الذي ربحتهُ . قال ذلك وقدَّم لنا الجزء الاخير من جريدة المهندس الكهربائي وقال ههنا قصة رجل اكتشف القنديل الكهربائي قبلنا ولكنهُ لم ينتفع شيئًا من اكتشافهِ لانهُ لم يسعَ في تعميمهِ ففتحنا الجريدة واذا فيها ترجمة رجل جرماني اسمهُ فردرك غوبل اتى اميركا منذ اكثر من ثلاثين سنة وصنع فيها القنديل الكهربائي ووضع فيهِ خيطًا من الكربون عوض البلاتين وفرَّغهُ

من الهواء بالزئبق وعَرَضهُ مرارًا عديدة في اسواق مدينة نيويورك على الوف من الناس بقصد التعيُّش لا غير. وكان ذلك قبل الحرب الاهليَّة الاميركيَّة وبقي يصنع هذا القنديل بعد الحرب الاهليَّة ولكنهُ لم يهتم باخذ براءة الحكومة ولم يزل الى الآن حيًّا يرزق في ضواحي مدينة نيويورك وهو شيخ طاعن في السن. ولو كان ذا عزيمةٍ وإقدام لسعى في انتشار قنديلهِ قبل كل احد وربح منهُ الملايين الكثيرة التي ربحها غيرهُ ولم يشتهر معهُ اسم برَش ولا اسم اديصن ولكن افقدهُ ضعف عزمهِ فلم ينتفع شيئًا من اكتشافهِ ولو اقتصر الاكتشاف عليهِ لمات معهُ حين موتهِ

عمل الالماس من الفحم الحجري

ذكرنا في الصفحة ٣٦ من المجلد الخامس من المقتطف انهُ استتبَّ للمستر هني من اهالي كلاسكو عَمَل الالماس فصنع قطعًا صغارًا منهُ وبعث بها الى الاستاذ مسكلين فامتحنها هذا بكل الطرق التي يُمتحن بها الالماس فوجدها الماسًا حقيقيًّا الاَّ انها صغيرة ونفقة عملها كبيرة. وكان ذلك سنة ١٨٨٠ اي منذ ثلاث عشرة سنة. ولم يتسنَّ لاحد بعد ذلك اكتشاف طريقة لعمل الحجارة الكبيرة وان تسنَّى ولم يكن المكتشف من رجال العلم الذين يفضلون اشهار الحقائق العلميَّة على كسب الاموال فالمرجح انهُ يخفي طريقتهُ ولا يكاشف بها احدًا لئلاَّ يرخص ثمن الالماس ولا يبقى لهُ ربح من اكتشافهِ

وقد استتبَّ الآن للمسيو هنري مواسان عمل قطع كبيرة من الالماس الاسود وقطع صغيرة من الالماس الابيض او الشفَّاف وذلك باذابة فحم السكر في الحديد المصهور وتركهِ حتَّى يتبلور تحت ضغط شديد. وذلك بان يوضع فحم السكر النقي في اسطوانة صغيرة من الحديد ويضغط عليهِ فيها ضغطًا شديدًا ثم يذاب مئتا غرام من الحديد بالاتون الكهربائي وتوضع الاسطوانة في الحديد الذائب وبعد ذلك يزال الحديد بالحامض الهيدروكلوريك المغلى وينفى ما بقي من الكربون بالحامض الكبريتيك والهيدروفلوريك وكلورات البوتاسا فيبقى قطع صغيرة من الالماس تخدش الياقوت وتحترق في الاكسجين ويرجح الباحثون في هذا الموضوع ان المسيو مواسان سيتمكَّن قريبًا من عمل حجارة كبيرة من الالماس

الاوزن بقرب البحار

الاوزون تنوُّع من الاكسجين ويدلُّ وجودهُ في الهواء على جودتهِ وقد ثبت الآن بالامتحان المتوالي ان اكثر وجودهِ في الاماكن التي بجوار البحار

الحياة والقوى الطبيعيَّة

خطب العالم سلانر في جمعية فكتوريا العلميَّة خطبةً بيَّن فيها الفرق بين الحياة والقوى الطبيعيَّة وذكر كل الادلة التي استدلَّ بها البعض على ان الحياة حاصلة من القوى الطبيعيَّة او على انهُ فُتح لهم باب لمعرفة اصل الحياة. وتكلم السر جورج ستوكس رئيس الجمعيَّة في هذا الموضوع وقال ان ما فرضهُ اللورد كلفن (السر وليم طمسن) من ان بزور الاجسام الحيَّة وصلت الى كرتنا الارضيَّة من نجم بعيد انما قصد بهِ امكان انتقال البزور من عالم الى آخر لا الاستدلال على اصل الحياة لان اصلها من الله تعالى. وتكلم الاستاذ ليونل بيل ايضًا وقال ان بين الاجسام الحيَّة وغير الحيَّة حدًّا حاجزًا وليس بين هذه وتلك حلقات موصلة بينهما وان الحياة مستقلة عن القوى الطبيعية. وتكلم الاستاذ برنارد والدكتور بدل والدكتور راي والدكتور ورنر وغيرهم وتابعوا كلهم الخطيب. ولا نعلم ما هو مراد هؤلاء العلماء ومَن جرى مجراهم من فصل الحياة عن القوى الطبيعيَّة فان كان مرادهم اثبات حقيقة علميَّة فالعلماء الباحثون في هذا الموضوع ولهم وحدهم حق الحكم فيهِ علميًّا لا يرون فصلًا تامًّا بين الحياة والقوى الطبيعيَّة. وان كان مرادهم ان يثبتوا ان الحياة من الله تعالى وهو الذي وضعها في المادَّة فمَن مِن علماء الطبيعة يقول ان القوى الطبيعيَّة ليست من الله تعالى. أوَ لا يرى الذين يريدون فصل الحياة عن القوى الطبيعيَّة انهم يثبتون بذلك ان القوى الطبيعيَّة ليست من الله تعالى فيقعون في ورطة اشد من الورطة التي ارادوا التخلص منها

الانتفاع بالنفاية

انشأ اللورد بليفير مقالة مسهبة في جريدة اميركا الشماليَّة (نورث اميركان رفيو) عدَّد فيها المنافع الكثيرة التي استخرجها رجال العلم والاختراع مما كان يعدُّ قبلًا بين النفايات التي لا فائدة منها او الفضلات المضرَّة بالسكان من ذلك استخراج الفصفور من القاذورات اولًا ثم من العظام وعمل الثقاب منهُ فان كل انسان يقتصد في سنتهِ ٧٨ ساعة باستعمالهِ عيدان الفصفور لاضرام النار وايقاد المصابيح بدل وسائط الاضرام التي كانت تستعمل قبل استنباط هذه العيدان. وقيمة ما يقتصدهُ سكان الولايات المتحدة في السنة من استعمال عيدان الفصفور نحو ٦٢ مليونًا من الجنيهات واذا فرضنا ان وقت الاميركيين اثمن من وقتنا ثلاثة اضعاف كان ربح اهالي القطر المصري من اختراع هذه العيدان نحو مليوني جنيه في السنة. ولم يعد الفصفور يستخرج من القاذورات الآن بل من العظام اما القاذورات فتستخرج منها الطيوب كالامونيا المعطرة

ونحوها . فينتزع كل يوم ٢٢٠٠ طن من مراحيض مدينة باريس لاستخراج الامونيا

الانتفاع بالخرق

قال اللورد بليفير في المقالة المشار اليها آنفاً ان استعمال الناس للخرق (الكهنة) القطنيّة والكتانيّة في عمل الورق ادلُّ على حضارتهم من استعمالهم للصابون . وقد ثبت بالاحصاء ان كل شخص من اهالي انكلترا يستعمل في سنتهِ ١٢ رطلاً من الورق ومن اهالي الولايات المتحدة عشرة ارطال ومن اهالي فرنسا تسعة ارطال ومن اهالي جرمانيا تسعة ارطال ايضاً ومن اهالي ايطاليا اربعة ارطال . اما في القطر المصري فمتوسط ما يستعملهُ كل انسان في السنة اقل من رطل واحد من الورق

وخرق الصوف تمزق وتغزل وتحاك ثانية واذا بلغت حدَّها من البلى مزجت بنصاحة القرون والحوافر واذيبت في آنية من الحديد واستخرج منها الصبغ الازرق البديع المسمى بالازرق البروسياني

منبع النيل

ضرب الدكتور بومن الرحالة في قلب افريقية حيث منابع النيل فبلغ جبال القمر التي في اورندي من املاك المانيا في افريقية عند الطرف الشمالي الشرقي من بحيرة تنجانيكا وهناك نهر يخرج من جبال القمر وهو نهر الكاجيرا ويصب في بحيرة فكتوريا وقال ان هذا النهر هو المنبع الحقيقي للنيل . واذا صحَّ ذلك ثبت بهِ ما قالهُ القدماء من ان منبع النيل من جبال القمر

الوفاقات في العادات

عقد المجمع اللغوي العربي في السابع عشر من فبراير الماضي وافتتحهُ حضرة رئيسهِ صاحب السماحة السيد البكري بتلاوة مقالة عنوانها "الوفاقات في العادات" بحث فيها عن بعض العادات والاحوال التي اتفق فيها العرب في الجاهليّة والفرنج الآن ومما ذكرهُ من ذلك

التهادي بالزهر والرياحين في ايام المواسم والاعياد وشاهدهُ قول النابغة

رقاق النعال طيبٌ حجزاتهم
يحيون بالريحان يوم السباسبِ

ويوم السباسب عيد من اعيادهم

ورفع ما على رؤُوسهم للتعظيم وشاهدهُ قول بعضهم

ولما اتانا بعيد الكرى
خضعنا لهُ ورفعنا العمارا

والعمارة كل ما يلبس على الراس

وتصوير الملوك على السكة المضروبة من الدنانير والدراهم . قال الثعالبي في اليتيمة "حكى ابن لبيب غلام ابي الفرج الببغا ان سيف الدولة امر بضرب دنانير للصلات في كل دينار عشرة مثاقيل وعليهِ اسمهُ وصورتهُ

فامر يومًا لابي الفرج منها بعشرة دنانير فقال ارتجالاً

نحن بجود الامير في حرمِ
نرتع بين السعود والنعمِ
ابدع من هذه الدنانير لم
يجرِ قديمًا في خاطر الكرمِ
فقد غدت باسمهِ وصورتهِ
في دهرنا عوذة من العدمِ

وقد اطلع سماحتهُ اعضاء المجتمع على صورة دينار عليها صورة انسان زعم بعض المؤلفين من الفرنج ان الذي ضربهُ عبد الملك بن مروان وان الصورة صورتهُ الاَّ ان حضرة السيد اضعف هذا الزعم بدليل انهُ لم يذكرهُ احد من المؤلفين الاسلاميين وان رواية ابي الزناد وغيرها تفيد ان عبد الملك لم يصور صورتهُ على السكة وانما كتب عليها كتابة

وتقديم ورقة قبل الطعام وفيها اسماء الاطعمة التي ستقدم في الخوان او تعديد الاسماء حتَّى تعلم. وفي الكتب الاسلاميَّة ما يفيد وقوع مثل هذا عندهم . ففي كتاب الاحياء ان الامام ابا حنيفة ضافهُ رجل فلما حضر الطعام قدم لهُ خريطة فيها اسماء ما عندهُ من الطعام . ومثل ما هو مذكور في قصة عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز وذلك ان بلال بن ابي بردة سأَل احد جلساء عبد الاعلى فقال لهُ ما يفعل هذا الشيخ معكم اذا اتيتموهُ فقال اذا اتيناهُ وحضر وقت الطعام دعا القائم على الطعام فيسأَلهُ عما عندهُ فيسمي لهُ الوان الطعام واحدًا فواحدًا فسأَلهُ بلال بن ابي بردة عن سبب ذلك وما ذا يقصد بهِ فقال لهُ ليمسك كل رجل عما لا يشتهي ويأْخذ مما يشتهي

ظهور ذوات الاذناب

الَّف المستر لِن كتابًا في ذوات الاذناب حسب فيهِ زمان ظهورها في السنين المقبلة ومن ذلك

مذنب فينلي يظهر في صيف سنة ١٨٩٣
ومذنب انكي " " شتاء " ١٨٩٤
" فاي " " ربيع " ١٨٩٦
" بروك " " " " ١٨٩٦
" دارست " " " " ١٨٩٧
" سوِفْت " " " " ١٨٩٧
" وِنكي " " صيف " ١٨٩٨
" ولف " " خريف " ١٨٩٨
" ١٨٦٦ " " ربيع " ١٨٩٩
" نتل " " صيف " ١٨٩٩
" هلمس " " " " ١٨٩٩

ومذنب ١٨٦٦ الذي يظهر في ربيع سنة ١٨٩٩ هو الذي تقع علينا منهُ نيازك كثيرة اذا دنونا منهُ كما حدث سنة ١٨٦٦

* * *

الانس في الحشرات

جاء في جريدة العلم الاميركية ان سيدة انكليزيَّة أُهدي اليها حشرة صغيرة من نوع الجعَل في شهر سبتمبر الماضي فوضعتها في صندوق صغير وكانت تطعمها حشيشًا وقطعًا من الاثمار وتسقيها قليلاً من الماء. وكثيرًا ما كانت تمسكها بيدها باعتناء شديد وتمسح ظهرها ثم تردها الى صندوقها. وذات يوم خرجت من غرفتها بغتة وتركت الصندوق مفتوحًا فلما عادت لم تجدها فيهِ فجعلت تناديها فاتت اليها تسعى فاخذتها بيدها ووضعتها في الصندوق ومن ثمَّ صارت تتركها في البيت ثم تناديها فتقبل اليها مسرعة واخيرًا صارت اذا نادتها تبسط جناحيها وتطير نحوها اينما كانت. ولما اشتدَّ برد الشتاء ظهر الضعف فيها فوضعتها في خرقة من الصوف فوق الموقد فانتعشت قواها ولكنها سقطت على الارض في شهر دسمبر الماضي فترضضت وماتت

زلزلة زنتي

رزئت جزيرة زنتي من جزائر اليونان بزلزلة خرَّبت كل مبانيها الصغيرة وصدَّعت المباني الفخيمة. وكانت قد رزئت قبل ذلك بمحل الكشمش وعليهِ اعتماد اهلها فاصابهم من الفاقة وخراب البيوت عناء شديد. وسنصف هذه الزلزلة من باب علمي في جزء آخر

بقيَّة رجال نبوليون

اقرَّت حكومة فرنسا سنة ١٨٦٩ على ان تعطي نشانًا ومعاشًا سنويًّا لكل جندي من جنود الجمهوريَّة الاولى والامبراطوريَّة اذا استطاع ان يثبت انهُ حضر معركتين او جرح في معركة من المعارك. فبلغ عدد هؤلاء الجنود ٤٣٥٩٢ جنديًّا سنة ١٨٧٠ ولم يبقَ منهم الآن سوى ٢٧ جنديًّا اكبرهم واسمهُ ڤيڤيان عمرهُ الآن ١٠٦ سنوات ولما كان عمرهُ ١٣ سنة كان مع بونابرت في مصر وحضر ٢٢ معركة وكان من الحرس الامبراطوري في معركة وطرلو واصغرهم عمرهُ ٩٢ سنة وكان في البحريَّة. ومتوسط اعمار هؤلاء السبعة والعشرين ٩٨ سنة. وقد قدَّر المسيو تركوان في جريدة الرفوسيَنتيفيك ان الذين ولدوا مع هؤلاء الرجال كانوا سنة ١٨١٥ ثلثمئة الف نفس وكان متوسط عمرهم ٢٥ سنة وكان عددهم اولاً حينما ولدوا مع الذين ولدوا معهم في فرنسا بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٧٩٥ خمس مئة الف نفس واستنتج ان خمس الذكور الذين ولدوا في فرنسا بين هاتين السنتين قضي عليهم في مواقع القتال

مصادر الطيوب

يستخرج زيت الاناناس من الجبن الفاسد والسكر. والطيب المعروف باسم ماء ميل فلرما يتزح من مزارب البقر

فهرس الجزء السادس من السنة السابعة عشرة

وجه

(١) الوراثة ومذهب وسمن ٣٥٣
(٢) الكسوف الآتي ٣٥٧
(٣) اصل المرافع ووصفها ٣٥٨
(٤) مناقب المتنبي ومعايبهُ ٣٦١
لحضرة صاحب السماحة السيد البكري نقيب السادة الاشراف وشيخ المشايخ
(٥) العلاج الجديد بحقن المواد العضويَّة ٣٧١
بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود
(٦) إكرام العلماء ٣٧٤
(٧) غرائب النبات ٣٧٧
(٨) قحف الجماجم ٣٨٠
(٩) ذوق العجماوات وتدينها ٣٨٣
(١٠) النارجيل او جوز الهند ٣٨٨
(١١) باب الصحة والعلاج . الوراثة المرضية . تدبير المرضى بالوسائل الصحية (اي الهيجينية) ٣٩٣
(١٢) المناظرة والمراسلة . رد على انتقاد . انشاء المعامل في القطر المصري . مطبعة الكانس ٣٩٩
(١٣) باب الزراعة . العلم في الزراعة . القمح . زراعة البصل . الاعتناء بالخيل . شذور زراعية ٤٠٧
(١٤) مسائل واجوبتها . وفيهِ ١٢ مسألة ٤١٤
(١٥) باب الاخبار . دولتلو رياض باشا ونظارة المعارف . مكتشف القنديل الكهربائي . عمل الالماس من الفحم الحجري . الاوزن بقرب البحار . الحياة والقوى الطبيعية . الانتفاع بالنفاية . الانتفاع بالخرق . منبع النيل . الوفاقات في العادات . ظهور ذوات الاذناب . الانس في الحشرات . زلزلة زنتي . بقية رجال نبوليون . مصادر الطيوب ٤١٨

* * *

تنبيه اول . ضاق هذا الجزء عن ذكر باب الصناعة وباب تدبير المنزل وسنمهب الكلام فيهما في الجزء التالي ان شاء الله

تنبيه ثان . ان جناب نخله افندي صالح الذي ورد اسمهُ في باب المناظرة في الجزء السابق هو من مستخدمي سكة الحديد

* * *